الزهراء فاطمة بنت عبد الله

لِقَاءُ ٱللَّهِ ﷻ

"المَوْتُ"

عِظَاتُهُ وَأَسْرَارُهُ وَأَحْكَامُهُ

مِنَ القُرْآنِ الكَرِيمِ وَصَحِيحِ السُّنَّةِ

مكتبة السنة



رقم الإيداع ٩٨ / ٨٠٤٩

مكتبة السنة
الدار السلفية لنشر العلم
السلفية

القاهرة : ٨١ شارع البستان - ميدان عابدين ،ناصية شارع الجمهورية،
تليفون : ٣٩٠٠٣١٨ - ٣٩١٣٥٣٢ فاكس : ٣٩١٣٥٣٢ - تلكس: ٢١٧١٩ TLTHRB UN
ص . ب : ١٢٨٩ - الرمز البريدى : ١١٥١١



تمهيد

الحمد لله الذي خلق الموت والحياة اختبارًا وابتلاء ، وصلى الله وسلم على محمد خاتم الأنبياء وعلى آله وصحبه الأخيار الأتقياء ... أما بعد :

فإن هناك **لحظتين هامتين حاسمتين في حياة الإنسان** هما :

لحظة البلوغ .. ولحظة الموت ! فمنذ البلوغ يبدأ التكليف الرباني للإنسان ويبدأ إحصاء عمله من خير أو شر ... ومنذ الموت يبدأ الحساب والجزاء .

والموت حقيقة واقعة وقدر محتوم على كل مخلوق ... يموت الصالحون الأبرار ... ويموت العصاة والكفار الفجار ... يموت الصادقون ... ويموت

المنافقون ... يموت المجاهدون ... ويموت الجبناء المتخاذلون .. يموت الجبابرة .. ويموت المستضعفون ... يموت ذوو الهمم العالية ... ويموت التافهون .. يموت العاملون لإعلاء كلمة الله ... ويموت الذين يصدون عن سبيل الله .... الكل يموت .. ﴿ **كل نفس ذائقة الموت** ﴾ [الأنبياء : ٣٥] . كل نفس تذوق الموت وتفارق الحياة الدنيا ، لا فارق بين نفس ونفس في ذلك إنما الفارق في شيء آخر ... في المصير ... ذلك الذي ينبغي أن نحسب له حسابه ونستعد له أيّما استعداد .

فلو أنا إذا مِتنا استرحنا لكان الموت غايةَ كلِّ حي
ولكنا إذا متنا بُعثنا لنُسأل بعدها عن كل شي

يقول الحق جل شأنه : ﴿ **تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير ❁ الذي خلق الموت**

والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور ﴾ [الملك : ١-٢] .

عن أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : " **يتبع الميتَ ثلاثةٌ : أهله وماله وعمله ، فيرجع اثنان ويبقى واحد : يرجع أهله وماله ، ويبقى عمله** " متفق عليه .

إن الله جل شأنه قادر على أن يخلق البشر كما خلق أباهم آدم من قبل دون المرور من أرحام الأمهات ، ولكنه جل شأنه أراد بحكمته البالغة أن يريهم أنه وهو القادر على خلقهم من العدم من ماء مهين والقادر على تنشئتهم في أحسن تقويم ثم إماتتهم ، فإنه سبحانه قادر على أن ينشأهم من العدم تارة أخرى ليحاسبهم ... بل إنه من عجيب المفارقات أن يولد الإنسان عاريا مجردًا من كل شيء

ويُلف لحظة نزوله إلى الدنيا بخرقة فإنه بعد أن يحيا فيها ما قدر الله له أن يحيا إلى أجل مسمى فإذا به يغادرها تاركا خلفه كل ما رزقه الله من مال ومتاع وأزواج وأبناء ... يغادرها كما دخلها عاريا مجردًا إلا من خرقة يُلفُ بها أشبه ما تكون بالخرقة الأولى .. وياليته وقف بالموت على عتبة الآخرة بلا آثام وأوزار كما دخل إلى دار الدنيا من قبل ... إذن لهان الخَطْبُ ... ولكنه يغادر الدنيا التي لفظتْه لفظا بعد أن كان لاهيا عن أجله ، سادرًا في غَيِّه ... مُحَمَّلاً بالآثام والأوزار **﴿ ولقد جئتمونا فُرادى كما خلقناكم أولَ مرة وتركتم ما خوّلناكم وراء ظهوركم ﴾** .

[الأنعام : ٩٤] .



◌ الموت لحظة اللاعودة :

عندما تفارق الروح الجسد بأمر ربها ... يجتمع الأهل والأحبّاء ... والأطباء ! يجتمعون حول ذلك الجسد المُسَجَّى وقد تعطلت قدراتهم وحارتْ مفاهيمهم . وعجزتْ علومهم . وشُلَّتْ سطوتهم .. وبان عجزهم .. إنها اللحظة الحاسمة في حياة الإنسان التي بعدها ما بعدها .

هنا يتحدى الحقُّ جل شأنه كلَّ مُنكِرٍ للحساب والجزاء ... كل منكِرٍ لعالم الغيب وأسراره العلوية ... يتحداه أن يعيد الرُّوح لمن سلبها الله منه إن كان صادقًا في إنكاره !

﴿ فلولا إذا بلغت الحلقوم ❁ وأنتم حينئذ تنظرون ❁ ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا

تبصرون ۞ فلولا إن كنتم غير مدينين ۞ ترجعونها إن كنتم صادقين ﴾ [الواقعة : ٨٣-٨٧] .

فيا أيها المستكبرون ... ويا أيها المكذبون ... ويا أيها العصاة المارقون يا مَنْ غرتكم الدنيا ولطمكم الموت ... هل من صحوة ... هل من توبة ؟ .

إنه وقد ظهر عجزكم عن استرداد الروح التي سُلبتْ رغما عنكم وفي غَيبة عن أبصاركم فلتعلموا أن مصير تلك الروح هى وصاحبها الذي انتُزعتْ منه :

﴿ فأما إن كان من المقربين ۞ فروح وريحان وجنت نعيم ۞ وأما إن كان من أصحاب اليمين ۞ فسلامٌ لك من أصحاب اليمين ۞ وأما إن كان من المكذبين الضالين ۞ فنزل من حميم ۞ وتصلية جحيم ﴾ .

[الواقعة : ٨٨-٩٤] .

ترى ما الذي يجعل الناسَ يرتكبون المنكرات ويستبيحون المحرمات ؟

إن ذلك يرجع إلى شعار هَدّام يعتنقه أولئك المجرمون ، وهذا الشعار لخّصه الله تعالى بقوله المحكم البليغ في آية واحدة ﴿ **إنهم كانوا لا يرجون حسابا** ﴾ . [النبأ : ٢٧] .

فلو تتبعنا أيّ فساد في المجتمع لوجدناه ناشئا من ذلك الشعار .



۞ متى يفسد المجتمع ؟

يحدث ذلك عندما لا يتوقع أفراد المجتمع حسابا على تصرفاتهم ..
إما لأنهم لا يؤمنون بالمحاسِب لهم وهو الله تبارك وتعالى .. وإما لأنهم يؤمنون به ولكنهم يستبعدون أن يعيدهم ثانية ليحاسبهم .

وعندئذ يتفلّتون من العقيدة السليمة والقيم الشرعية النبيلة فيتكالبون على الدنيا تكالب الوحوش بلا وازع ولا ضمير ، لا يبالون أكانوا أخيارًا أم فجارًا ... ويستمرون على ذلك كما قال تعالى : **﴿ وكذّبوا بآياتنا كذّابا ۞ وكل شيء أحصيناه كتابا ۞ فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا ﴾** [النبأ : ٢٨-٣٠] .

إن الله تعالى يذكّر أولئك بالنشأة الأولى لعلّهم يؤمنون بالنشأة الآخرة ! قال تعالى : **﴿ ألم نخلقكم من**

ماء مهين ۞ فجعلناه فى قرار مكين ۞ إلى قدَر معلوم ۞ فقَدَرنا فنِعْمَ القادرون ۞ ويلٌ يومئذ للمكذّبين ﴾ [المرسلات ٢٠-٢٤] .



القبر أول منازل الآخرة

تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه وسؤال الملكين ، وأن الميت يسمع خفق نعال الناس وهو في قبره حين يولّون عنه ، ومن الثابت أن النعيم أو العذاب يقع على الروح والبدن معًا في القبر ، إذ أنّ الروح تعاد إلى الجسد بعد نزعها منه وتسجيلها إما في عليين إن كان مؤمنًا ، أو في سِجِّين إن كان كافرًا ... وهذا كله مما يجب الاعتقاد به اعتقادًا وإيمانًا مطلقًا ، أما كيف يتم ذلك فإن العقل البشري لا يمكنه الوقوف على كيفيته لكونه لا عَهْد له به مِنْ قَبْل ، والشرع لا يأتي بما تحيله العقول ولكنه قد يأتي بما تُحَار فيه العقول ، وعليه فإن عود الروح إليه غير الإعادة المألوفة في الدنيا .

فالروح لها خمسة أنواع من التعلق بالبدن ،

متغيرة الأحكام :

أحدها : تعلقها به في بطن الأم جنينًا .

الثاني : تعلقها به بعد خروجه إلى وجه الأرض .

الثالث : تعلقها به في حال النوم ، فلها تعلق من وجه ومفارقة من وجه آخر .

الرابع : تعلقها به في البرزخ (أي الحياة في القبر) فإنها وإنْ فارقتْه وتجردت عنه فإنها لم تفارقه فراقًا كليًّا .

الخامس : تعلقها به يوم بعث الأجساد ، وهو أكمل أنواع تعلقها بالبدن ، ولا نسبة لما قبله من أنواع التعلق إليه ، إذْ هو تعلق لا يقبل البدن معه موتًا ولا نومًا ولا فسادًا . فتأمل ذلك كله تتضح لك الحقيقة . أما إنْ ظَلَّ هناك شك في الأمر فيكفيك أن تعلم أنك تنتفع

بالروح التي في داخلك مع أنك لا تعرف شيئًا عن حقيقتها ، والانتفاع بالشيء لا يقتضي العلم به ، ولتقريب الأمر إلى ذهنك نقول إن الأمّي على سبيل المثال يستخدم الكهرباء وينتفع بها مع أنه لا يعرف عن حقيقتها شيئًا . إذن انتفاع المرء بالروح التي في داخله لا يعني أن يفهم حقيقتها ولا كيفية تعلقها بالبدن في الأحوال سالفة الذكر .

وهذا يكفي في حد ذاته لأن يوقن المرء أن للميت حياة خاصة في قبره .

ولكن لماذا لا يشعر الأحياء على وجه الأرض بحياة الأموات في باطنها ؟

إن للنفس البشرية ثلاث دور تنتقل فيها من دار إلى دار ، وكل دار أعظم من التي قبلها :

الـــدار الأولـــى :

(ا) في بطن الأم حيث نبت الإنسان كما تنبت البذرة وعاش حياته بصورة معينة .

(ب) في الحياة الدنيا التـي يخرج إليها من ضيق الرحم إلى السعة ، وفيها يُبتلى بالخير والشر ، ويُكلَّـف بالتكاليـف الشرعيـة . وهـي أشبه مـا تكـون بحياة الطالب في المدرسة ، لديه منهج مكلف به وهـو هنا (كتاب الله وسنة رسوله ﷺ) ، فهو إما أن يجدّ ويجتهد ويحفـظ منهاجـه تمـام الحفـظ ويؤديه كما طُلِبَ منه فيكون فيمـا بعـد مـن الذين سعدوا وفازوا ، أو يهمل منهاجه فيكـون من الذين شقوا وخسروا وخابوا !!

الـدار الـثـانـيـة : دار الـبَـرْزَخ :

وهـي أول منـازل الآخـرة ونعنـي بهـا الحيـاة في

القبور ، فكما كان بطن الأم أول منازل الدنيا يكون بطن الأرض أول منازل الآخرة وهي حياة بصورة معينة وفيها يبدأ الجزاء ، فيكون القبر إما رَوْضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النار .

الدار الثالثة : دار القرار :

وهي تبدأ يوم قيام الناس من قبورهم وحشرهم إلى أن يستقر من كان للجنة أهلاً فيها ومن كان للنار أهلاً فيها !

ولما كان حديثنا مركّزًا على الدار الثانية وهي دار البرزخ فينبغي أن يُعلَم أن النار التي في القبر وكذلك النعيم ليس من جنس نار الدنيا ولا نعيمها . وأن الله تعالى يحمي عليه التراب والحجارة التي فوقه وتحته حتى تكون أعظم حرًا من جمر الدنيا ، ولو مسها أهل الدنيا لم يحسوا بها . بل أعجب من هذا أن

الرجلين يدفن أحدهما إلى جنب صاحبه ، وهذا في حفرة من النار ، وهذا في روضة من رياض الجنة ، لا يصل من هذا إلى جاره شيء من حر ناره ، ولا من هذا إلى جاره شيء من نعيمه . وقدرة الله أوسع من ذلك وأعجب ، ولكن النفوس مولعة بالتكذيب بما لم تُحِطْ به عِلْمًا .

وإذا شاء الله أن يُطلع على ذلك بعض عباده أطلعه ، وغيّبه عن غيره ، ولو أطلع الله على ذلك العبادَ كلَّهم لزالت حكمة التكليف ومطلب الإيمان بالغيب ، و لم يتدافن الناس ، ولتركوا عمارة الأرض ، ولانصرفوا إلى العبادة ليل نهار وكأنهم ملائكة خوفًا ووجلاً مما يسمعون .

قال ﷺ : " **لولا ألا تدافنوا لدعوتُ الله أَنْ يسمعكم عذاب القبر** " أخرجه الإمام مسلم والنسائي .

ولما كانت هذه الحكمة منتفية في حق البهائم فإنها تسمعه .

○ كيف نؤمن بعذاب القبر ونعيمه وكأننا نراه ؟

قد ينكر البعض أن هناك حياة معينة للأموات في قبورهم يتعرضون فيها للنعيم أو العذاب ... ومنشأ ذلك هو القصور في الإدراك والاختلال في التصور والانحراف في العقيدة فيتساءل أولئك : هل يُعقل أن تكون هناك حياة في القبر وهو خالٍ من معالم الحياة ؟

ويقصدون بمعالم الحياة الماء والهواء والغذاء .

ولو تأمل أولئك في عجائب قدرة الله لوجدوها أبلغ من ذلك بكثير .

فلو تذكر أولئك أن بطن الأم يشبه إلى حد كبير بطن الأرض حيث لا يوجد هواء ولا ماء ولا غذاء في بطن الأم بالمعنى الذي يقصده الأحياء في الدنيا (وإن كان هناك حبل سري يربط بين الأم والجنين يدخل منه

الهواء والماء والغذاء الذائبين في الدم) بيد أنه ماء وغذاء لا يؤدي إلى أن يتبول منه ذلك الإنسان الحي ولا أن يتبرز ، ولا أن يصيح أو يمشي كسائر الأحياء على وجه الأرض بل هي حياة من نوع خاص ، وأعجب منها خلق الإنسان من العدم بادىء ذي بدء ... وهذا للتقريب فمن شهد هذا بين الأم وجنينها يمكن لذهنه أن يوقن بالحياة في القبور وهي حياة غير التي ألفها في بطن الأم ولا في الدار الدنيا .

بل وردت الأخبار عن اتساع القبر وانفساحه للمؤمن وتضييقه على الكافر مع أن القبر يبدو لأبصارنا كما هو لم يزد ولم ينقص ، فإنْ أنكر مُنكِرٌ ذلك قلنا له – على وجه التقريب – : إن رحم الأم يزيد وينقص وهو كما هو (رحم) وإن كانت أبصارنا ترى ذلك فلأنّ الحالتين حالة الحمل وحالة رؤية اتساع الرحم

واقعتان في دار الدنيا المألوفة لنا والتي يمكننا الإدراك بالحواس فيها . أما بالنسبة للقبر فإن الذي يدرك الاتساع والتضييق هو الميت نفسه وليس نحن الذين على وجه الدنيا . تمامًا كما أن هناك عالماً غير مرئي على وجه الدنيا مثل عالمنا المرئي وهو عالم الجن ... يعيش ويحيا ويأكل ويشرب ويتناسل بطريقة غير منظورة لنا ، حتى أن اللحم الذي نأكله ونلقي بعظامه في القمامة يكسوه الله باللحم ليأكله الجن وهو لحم غير مرئي لنا ولكنه مرئي لهم ... وعالم الجن أدركناه بتأثيراته في الناس وبما أخبرنا به الله سبحانه وتعالى وما حدثنا به رسول الله ﷺ .

أما إنْ ظل هناك مجال للإنكار فأكتفي بذكر حالة النوم في الدنيا كبرهان قاطع لكل شك في إمكانية الحياة في القبور حياة خاصة بالأموات تمكنهم

من الإحساس بالنعيم أو العذاب .

قال الله تعالى : ﴿ **وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليُقضى أجلٌ مسمّى ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون ۞ وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ۞ ثم رُدّوا إلى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين** ﴾ . [الأنعام ٦٠-٦٢] .

قوله تعالى : ﴿ **وهو الذي يتوفاكم بالليل** ﴾ يفيد أنه تحدث للإنسان وفاة بالنوم وليس ذلك موتا حقيقيا بل هو قبضٌ للأرواح عن التصرف بالنوم كما يقبضها عن التصرف بالموت الحقيقي .

ويقول تعالى : ﴿ **الله يتوفّى الأنفسَ حين موتها والتي لم تمت في منامها فيُمسك التي قضى عليها**

الموتَ ويُرسل الأخرى إلى أجلٍ مسمّى إن في ذلك لأيات لقوم يتفكرون ﴾ [الزمر : ٤٢] .

تفيد تلك الآية أنه يحدث للإنسان وفاتان : وفاة مؤقتة متكررة بالنوم ، ووفاة حقيقية بالموت .

قال ابن زيد : النوم وفاة والموت وفاة .

وقال عمر : النوم أخو الموت .

فلو كان هناك إنسان نائم وبجواره إنسان متيقظ فإن الاثنين أحياء ، ولكن بصورة معينة لكل منهما (رغم أنهما معا في دار الدنيا) . فالنائم تتسع أمامه الدنيا بالرؤى والأحلام فيرى نفسه في أماكن وبلاد تبعد ألوف ومئات الكيلومترات عن بلاده ، وقد يرى أنه يعيش فيها ويأكل ويشرب ويتجول ويتنعم أو يتعذب وذلك خلال ثوان معدودة بينما هو لم ينتقل من مكانه و لم يغادر غرفته ، و لم ير المستيقظ بجواره ما

رآه النائم ولا شعر به ولا انفسح له الكون كما انفسح للنائم ، بل ترى النائم بعد استيقاظه يشعر بالسعادة القصوى لما شاهده أو أكله في المنام ، أو يشعر بالاضطراب والخوف الشديد لما شاهده من أحداث دامية أو كوابيس أو صراعات ، وكذلك فقد يرى النائم أحداثا تجري يوم القيامة ! وكل ذلك لم يشاهده المستيقظ و لم يحس به ، كما أن الغرفة التى كان بها النائم لم تضيق أو تتسع عند المستيقظ ، ولكنها للنائم اتسعت حتى تجاوز حدود المكان بل حدود الزمان !

وقد يخالط النائم الموتى ويرى من أمورهم ما لا يراه في حال اليقظة ، بل اليقظان قد يدرك ألما أو لذة لما يسمعه أو يفكر فيه ولا يدرك ذلك جليسه ! أليس في ذلك ذكرى للذاكرين ويقينٌ للمنكرين الجاحدين ؟!

۞ صور مما يحدث عند الموت وفي القبر :

عن البراء بن عازب قال : **خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة رجل من الأنصار ، فانتهينا إلى القبر ولمّا يُلحدْ ، فجلس رسول الله ﷺ [مستقبلَ القبلة] وجلسنا حوله وكأن على رؤوسنا الطير** (إشارة إلى الصمت عند الدفن) **وفي يده عود ينكت في الأرض ، [فجعل ينظر إلى السماء ، وينظر إلى الأرض ، وجعل يرفع بصره ويخفضه ، ثلاثًا] فقال : " استعيذوا بالله من عذاب القبر " مرتين أو ثلاثًا ،[ثم قال : اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر] . [ثلاثًا] .**

ثم قال : إنّ العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكةٌ من السماء ، بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس ، معهم كفن من أكفان الجنة (وهو كفن للرُّوح)

وحَنُوط (وهو ما يُخْلَط من الطِّيب لأكفان الموتى وأجسامهم) من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مَدّ البصر ، ثم يجيء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس الطيبة (وفى رواية : المطمئنة) اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان ، قال : فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فِي السِّقَاء (أي كما تسيل قطرة الماء من فم القربة) فيأخذها (وفي رواية : حتى إذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض ، وكل ملك في السماء وفُتحت له أبواب السماء ، ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله أن يُعرج بروحه مِنْ قِبَلهم) ، فإذا أخذها لم يَدَعوها في يده طَرْفة عِين حتى يأخذوها ، فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحَنُوط ، فذلك قوله تعالى : ﴿ توفته رسلنا وهم لا يفرطون ﴾

ويخرج منها كأطيب نفحة مِسْك وُجدت على وجه الأرض ، قال : فيصعدون بها ، فلا يمرون – يعني – بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الطيب ؟ فيقولون : فلان ابن فلان ، بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا ، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له (أي يطلبون الإذن بالدخول) فيُفتح لهم ، فيشيّعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهى بها إلى السماء السابعة ، فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتاب عبدي في عليين [﴿ وما أدراك ما عليون ۞ كتابٌ مرقوم ۞ يشهده المقربون ﴾ ، فيكتب كتابه في عليين ، ثم يُقال :] أعيدوه إلى الأرض ، فإني (وعدتهم أني) منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى ، قال : فـ (يُرد إلى الأرض ، و) تعاد روحه

في جسده ، (قال : فإنه يسمع خفق نعال أصحابه إذا ولوا عنه) [مدبرين] ، فيأتيه ملكان [شديدا الانتهار] فـ [ينتهرانه ، و] يجلسانه (وذلك بكيفية لا ندركها نحن الأحياء على وجه الدنيا) :

– فيقولان له : من ربك ؟

– فيقول : ربي الله .

– فيقولان له : ما دِينك ؟

– فيقول : ديني الإسلام .

– فيقولان له : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟

– فيقول : هو رسول الله ﷺ .

– فيقولان له : وما علمك ؟

– فيقول : قرأتُ كتاب الله فآمنتُ به ، وصدَّقتُ .

[فينتهره فيقول : من ربك ؟ ما دينك ؟ من نبيك ؟ وهي آخر فتنة تعرض على المؤمن ، فذلك

حين يقول الله عز وجل ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا ﴾ ، فيقول : ربي الله ، وديني الإسلام ، ونبيي محمد ﷺ . فينادي مناد في السماء : أَنْ صدق عبدي ، فأفرشوه من الجنة ، وألبسوه من الجنة ، وافتحوا له بابا إلى الجنة . قال : فيأتيه من رَوْحها (أي رائحتها) ، وطِيبها ، ويُفسح له في قبره مد بصره ، قال : ويأتيه (وفي رواية : يُمثل له) رجل حسن الوجه ، حسن الثياب ، طيب الرِّيح ، فيقول : أَبْشِرْ بالذي يَسُرُّك ، [أبشر برضوان من الله ، وجنات فيها نعيم مقيم] ، هذا يومك الذي كنتَ توعد ، فيقول له : [وأنت فبشرك الله بخير] من أنت ؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير ، فيقول : أنا عملك الصالح ، [فوالله ما علمتك إلا كنت سريعا في إطاعة الله ، بطيئًا في معصية الله ،

فجزاك الله خيرا] ثم يفتح له باب من الجنة ، وباب من النار فيقال : هذا منزلك لو عصيتَ الله ، أبدلك الله به هذا (أي الجنة) فإذا رأى ما في الجنة

قال : رب عَجِّل قيام الساعة ، كيما أرجع إلى أهلي ومالي ، [فيقال له : اسكن] ، قال : وإن العبد الكافر " وفي رواية : الفاجر " إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة ، نزل إليه من السماء ملائكة [غلاظ شداد] سود الوجوه ، معهم المَسُوح [من النار] (والمسوح جمع المِسْح ، وهو ما يُلبس من نسيج الشعر على البدن تقشفًا وقهرًا للبدن) فيجلسون منه مد البصر ، ثم يجيء ملك الموت ، حتى يجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس الخبيثة ، اخرجي إلى سخط من الله وغضب ، قال : فتفرق في جسده ، فينتزعها كما يُنتزع السَّفُود

(الكثير الشُّعَب) من الصوف المبلول ، [فتقطع معها العروق والعصب] ، [فيلعنه كل ملك بين السماء والأرض ، وكل ملك في السماء ، وتغلق أبواب السماء ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله ألا تُعرج رُوحه مِنْ قِبَلهم] فيأخذها ، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طَرْفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ، ويخرج منها كأنتن جيفة وُجدت على وجه الأرض ، فيصعدون بها ، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا : ما هذه الروح الخبيث ؟ فيقولون : فلان ابن فلان ، بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا ، حتى يُنتهى به إلى السماء الدنيا ، فيستفتح ، فلا يُفتح له ، ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط ﴾ فيقول الله

عز وجل : اكتبوا كتابه في سجين ، في الأرض السفلى ، [ثم يُقال : أعيدوا عبدى إلى الأرض فإني وعدتهم أني منها خلقتهم ، وفيها أعيدهم ، ومنها أخرجهم تارة أخرى] ، فتُطرح روحه [من السماء] طرحًا ، [حتى تقع في جسده] ثم قرأ ﴿ ومن يشرك بالله فكأنما خَرَّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق ﴾ . فتعاد روحه في جسده ، [قال فإنه ليسمع خفق نعال أصحابه إذا ولوا عنه] ويأتيه ملكان [شديدا الانتهار فينتهرانه ، و] يجلسانه

– فيقولان له : من ربك ؟

[– فيقول : هاه هاه ، لا أدري .

– فيقولان له : ما دينك ؟

– فيقول : هاه هاه ، لا أدري .]

– فيقولان : فما تقول في هذا الرجل

الذي بعث فيكم ؟

فلا يهتدي لاسمه ، فيقال : محمد !

فيقول : هاه هاه ، لا أدري . [سمعت الناس يقولون ذاك !

قال : فيُقال : لا دَرَيْتَ] ، [ولا تَلَوْتَ]

فينادي مناد من السماء : أنْ كذب ، فأفرشوا له من النار ، وأفتحوا له بابا إلى النار ، فيأتيه من حَرِّها ، وسَمُومها ، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه . ويأتيه (وفي رواية : ويمثل له) رجل قبيح الوجه ، قبيح الثياب ، منتن الريح ، فيقول : أبشر بالذي يسوؤك ، هذا يومك الذي كنت تُوعد ، فيقول : [وأنت فبشّرك الله بالشر] مَنْ أنت ؟ فوجهك الوجه يجيء بالشر ! فيقول : أنا عملك الخبيث ،[فوالله ما علمتُ إلا كنتَ بطيئًا عن طاعة الله ، سريعًا إلى

معصية الله] ، [فجزاك الله شرًّا ، ثم يُقيض له أعمى أصم أبكم في يده مرزبة لو ضُرب بها جبل كان ترابا ، فيضربه ضربة حتى يصير بها ترابا ، ثم يعيده الله كما كان ، فيضربه ضربة أخرى فيصيح صيحة يسمعه كل شيء إلا الثقلين (أي الجن والإنس) ، ثم يُفتح له باب من النار ويُمهد من فرش النار] ، فيقول : رب لاتقم الساعة " . أخرجه أبو داود والحاكم والطيالسي وأحمد والسياق له والآجرى في الشريعة ، وروى النسائي وابن ماجه القسم الأول منه ، وقال الحاكم : " صحيح على شرط الشيخين " وأقره الذهبي ، وقال الألباني : وهو كما قالا . وصححه ابن القيم ونقل فيه تصحيحه عن أبي نعيم وغيره .

وفي مسند الامام أحمد وصحيح أبي حاتم : أن النبي ﷺ قال : **إن الميت إذا وُضع في قبره إنه يسمع**

خفق نعالهم حين يولون عنه، فإنْ كان مؤمنا كانت الصلاة عند رأسه ، والصيام عن يمينه ، والزكاة عن شماله ، وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة (أي صلة الأرحام) والمعروف والإحسان عند رجليه ، فيُؤتى مِنْ قِبَل رأسه ، فتقول الصلاة : ما قِبَلي مدخل ، ثم يُؤتى من يمينه ، فيقول الصيام : ما قبلي مدخل ، ثم يُؤتى من يساره ، فتقول الزكاة : ما قبلي مدخل ، ثم يؤتى من قبل رجليه ، فيقول فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان : ما قبلي مدخل .

فيقال له : اجلس ، فيجلس قد مُثِّلَتْ له الشمس وقد أخذت للغروب ، فيقال له : هذا الرجل الذي كان فيكم ما تقول فيه ؟ وماذا تشهد به عليه ؟ فيقول : دعوني حتى أصلي ، فيقولان : إنك ستصلي ، أخبرنا عما نسألك عنه ؟ أرأيتك هذا

الرجل الـذي كان فيكم ما تقول فيه ؟ وما تشهد بـه عليه ؟ فيقول : محمد أشهد أنه رسول الله جاء بـالحق من عند الله ، فيقال له : علـى ذلـك حييـت ، وعلـى ذلك مت ، وعلى ذلك تبعث إن شـاء الله . ثـم يفتح له باب إلى الجنة . فيقال له : هذا مقعدك وما أعد الله لك فيها . فيزداد غِبطـة وسـرورا . ثـم يفسـح لـه في قبره سبعون ذراعا وينور لـه فيـه ، ويعـاد الجسـد لما بُدىء منه ، وتُجعـل نَسَمتُـه (أي رُوحه) في النسـم الطيب ، وهي طير مُعلّق في شجر الجنة (وذلك بعد أن يتحلل الجسد إلى تراب) ، **قال : فذلك قول الله تعالى : ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا الدنيا وفي الآخرة ﴾ وذكر في الكافر ضد ذلك** (أي عكسه) **إلى أن قال : ثم يُضيق عليه في قبره إلى أن تختلف فيه أضلاعه ، فتلك المعيشة الضنك التي قال الله تعالى :**

﴿ فإن له معيشة ضَنْكًا ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾ .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما : أن رسول الله ﷺ مرَّ بقبرين فقال : " **إنهما يعذبان ، وما يعذبان في كبير ! بلى إنه كبير : أما أحدهما فكان يمشي بالنَّمِيمة ، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله** " متفق عليه ، وهذا لفظ إحدى روايات البخاري . قال العلماء : معنى وما يعذبان في كبير أي في زعمهما ، وقيل : كبير تركه عليهما . ومعنى النميمة : نقل الكلام بين الناس على جِهة الفساد . ومعنى لا يستتر من بوله : أي كان يبول أمام الناس . وفي رواية أخرى : لا يستبرىء من بوله : أي لا يتحفظ منه فكانت عبادته لا تصح .. ونكتفي بذلك القدر من أحاديث عذاب القبر ونعيمه .



حسـن الخاتمـة

على المسلم أن يستعد دائما للموت ويحرص على حسـن الخاتمة فإنما الأعمال بالخواتيم ، ولما كان موعـد المـوت مـن الأمور الـتـي اختـص بعلمهـا الله سبحـانـه وتـعـالـى فـعـلى الـعـاقـل أن يكـون دائمـا على حسـن صـلة بالله ثمَّ بالناس وأن يبادر بالتوبة من جميع المعاصي لقوله ﷺ " إن الله عز وجل يقبل توبة العبد ما لم يغرغر " رواه الترمذي وقال : حديث حسن . الغرغرة هنـا : حشرجة الموت .

قـال العلماء : الـتـوبـة واجـبة من كل ذنب فإن كـانـت المعصيـة بيـن العبـد وبيـن الله تعالى لا تتعـلق بحق آدمي فلها ثلاثة شروط :

أحدها : أن يقلع عـن المعصيـة (أي يتركهـا فـلا يعـود إليها) .

الثاني : أن يندم على فعلها .

الثالث : أن يعزم ألا يعود إليها أبدًا . فإن فقد أحد هذه الثلاثة لم تصح توبته .

۞ وإن كانت المعصية تتعلق بحق آدمي فشروطها أربعة : هذه الثلاثة سالفة الذكر والشرط الرابع : أن يبرأ (أي يطلب العفو فعلاً وقولاً) من صاحبها .

فإن أكل ميراثا لأحد أو مالا أو نحوه رده إليه ، وإن كانت المعصية حد قذف ونحوه مكنه منه أو طلب عفوه ، وإن كانت غيبة استحله منها وهكذا .

۞ وينبغي على المسلم ألا يغتر بعمله الصالح وألا يحكم على الناس برأيه بل يحسن العمل ويحسن الظن بالله تعالى ويخاف ذنوبه ، ويدع الحكم على الناس للخالق .

فعن أنس رضي الله عنه أنه ﷺ دخل على شاب وهو في الموت فقال : " **كيف تجدك** " . **قال : أرجو الله**

يارسول الله وإني أخاف ذنوبي ، فقال ﷺ : " لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وأمّنه مما يخاف " رواه الترمذي بسند حسن .

وقال ﷺ " إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يبقى بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها " وفي حديث البخاري : " إن العبد ليعمل بعمل أهل النار وإنه من أهل الجنة ويعمل بعمل أهل الجنة وإنه من أهل النار وإنما الأعمال بالخواتيم " .

○ وفي الحديث الذي رواه الشيخان " أنه ﷺ التقى هو والمشركون فاقتتلوا ، فلما مال رسول الله ﷺ إلى عسكره ومال الآخرون إلى عسكرهم ، وفي أصحاب رسول الله ﷺ رجل لا يدع لهم شاذة ولا فاذة إلا اتبعها يضربها بسيفه ، فقالوا : ما أجزأ

منا اليوم أحد كما أجزأ فلان ، فقال رسول الله ﷺ : " أما إنه من أهل النار " . وفي رواية (فقالوا : أينا من أهل الجنة إن كان هذا من أهل النار ؟) **فقال رجل من القوم : أنا صاحبه أبدا ، قال : فخرج معه كلما وقف وقف معه وإذا أسرع أسرع معه ، قال : فَجُرِحَ الرجل جرحا شديدا فاستعجل الموت ، فوضع سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه ، فخرج الرجل الى رسول الله ﷺ فقال : أشهد أنك رسول الله . قال : وما ذاك ؟ قال : الرجل الذي ذكرت آنفا أنه من أهل النار فأعظم الناس ذلك فقلت : أنا لكم به ، فخرجت في طلبه حتى جُرح جرحا شديدا فاستعجل الموت فوضع نصل سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل عليه فقتل نفسه ، فقال رسول الله ﷺ : " إن الرجل**

ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار ، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة " . (أي أن مصيره الحقيقي لا يعلمه إلا الله وليس حسبما يتراءى للناس) .

○ وينبغي على المسلم ألا يغتر بقدرته وليتذكر قدرة الله عليه دائما ، فلا ينتهك حرمة أخيه المسلم ولا يغدر به ولا يفتري عليه معتمدا في ذلك على نفوذه وسطوته وكثرة أنصاره وقوته ... وإن هذا مما استفحل بين الناس فتجد أحدهم لا يتوانى عن الغدر بالناس وخداعهم والتسلط عليهم وظلمهم والتجسس عليهم وإفشاء أسرارهم ثم الكيد لهم والاعتداء عليهم واستخدام ممتلكاتهم دون استئذانهم فإن غضبوا لحقوقهم نكل بهم !!!

قال الله تعالى : **﴿ محمد رسول الله والذين معه**

أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾ [سورة الفتح : ٢٩] .

فما بال المسلمون اليوم أشداء على بعضهم رحماء على الكفار ، إلا من رحم الله ؟ !!!

وفي الحديث الشريف : " **كل المسلم على المسلم حرام عرضه وماله ودمه** " رواه الترمذي بسند حسن .

○ وليتق المسلمون الله في بعضهم قبل أن تمر جنائزهم على الناس فيشهدوا لهم !!!! عن أنس رضي الله عنه قال : مروا بجنازة ، فأثنوا عليها خيرا فقال النبي ﷺ : " **وجبت** " . ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شرا فقال النبي ﷺ " **وجبت** " . فقال : عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ما وجبت ؟ قال : " **هذا أثنيتم عليه خيرا فوجبت له الجنة ، وهذا أثنيتم عليه شرا فوجبت له النار ، أنتم شهداء الله في الأرض** " متفق عليه .

علامات حسن الخاتمة

هناك علامات بينها الشرع الحكيم، فأيما امريء مات بإحداها كانت له بشارة يُستدل بها على حسن الخاتمة : -

١- النطق بالشهادة (لا اله إلا الله) عند الموت .

٢- الموت برشح الجبين (أي يعرق جبينه عند الموت) .

٣- الاستشهاد في ساحة القتال .

٤- الموت غازيا في سبيل الله .

٥- الموت بالطاعون .

٦- الموت بداء البطن .

٧- الموت غرقا .

٨- الموت تحت الهدم .

٩- موت المرأة في نفاسها بسبب ولدها .

١٠- الموت حرقا .

١١- الموت بذات الجنب (وهو ورم حاد يعرض في الغشاء المستبطن للأضلاع) .

١٢- الموت بداء السل .
١٣- ١٤- ١٥- الموت في سبيل الدفاع عن المال والدين والأهل والنفس .
١٦- الموت مرابطا في سبيل الله .
١٧- الموت قتلا من الإمام الجائر لمن نصحه أو أمره بالمعروف ونهاه عن المنكر .
١٨- الموت على عمل صالح كأن يموت صائما أو متصدقا.

وكل ما سبق ذكره من علامات تؤيدها الأحاديث الصحيحة التي لم أذكرها اختصارًا و منعا للتطويل وغالبية من ذكرنا لهم أجر الشهيد وذلك في العلامات من (٤ - ١٧) من علامات حسن الخاتمة إلا أنهم يغسلوا ويكفنوا ويصلى عليهم فلا يعاملوا معاملة الشهيد الذي قتل في ساحة المعركة من ترك الغسل والصلاة عليه تشريفا له .

قصص واقعية
متعلقة بعلامة الموت على عمل صالح
(من علامات حسن الخاتمة)

○ **القصة الأولى** : ذكرها الشيخ الألباني في هامش كتابه (تلخيص أحكام الجنائز) عند حديثه عن علامات حسن الخاتمة ، ومنها (الموت على عمل صالح) والقصة مفادها كما يرويها الشيخ الألباني :

" لقد توفى شقيقى الكبير محمد ناجي أبو أحمد في موسم السنة الماضية (١٤٠١هـ) على عمل صالح إن شاء الله ، في الجمرات آخر أيام التشريق وهو جالس مع بعض رفاقه الحجاج ، وقد ذكر لي بعضهم : أن أحد الجالسين معه قدم إليه بيده اليسرى (كأسا من الشاى) ، فقال له : يا أخي أعطني بيدك اليمنى ولا تخالف السنة ، أو كما قال ، ومات من ساعته ، رحمه الله وحشرنا وإياه مع النبيين والصديقين والشهداء

والصالحين وحسن أولئك رفيقا . (هنا تسبب كأس الشاى في أن يأمر الرجل بالمعروف وينهى عن المنكر فخُتم له على ذلك) .

○ **أما القصة الثانية** : فقد حدثت لطبيب شاب ، وكان (كأس الشاى) هو نقطة النهاية فيها كذلك ، ولكن شتان بين (كأس الشاى) في قصتى و (كأس الشاى) في قصة الشيخ الألباني ، ففي قصتى كان نهاية سيئة لما أحسبه سوء خاتمة ، وفي القصة الأولى تسبب كأس الشاى في حسن الخاتمة !!

– ومفاد القصة كما روتها لي خالة الطبيب بنفسها : أنه كان ساهرا أمام الفيديو (وما أدراك ما الفيديو !) وقدمت له زوجته (وهي طبيبة مثله) كوبا من الشاى ، وذهبت لكى تطمئن على أطفالها النيام ثم عادت لكي تستمتع بالسهرة مع زوجها أمام ذلك الجهاز الشيطاني

الـذي يبث للناس الرذيـلة ويقدم لهـم التهتك والفجـور والاستهـزاء بحرمات الله ... ويعلمهـم كيف يفسقون ، وكيف يفجرون ... وكيف يجرمون !!! ...

فما أن اقتـربت من زوجها حتـى وجدتـه جالسـا في مقعـده في هيئـة النـائم ، فظنتـه نائمـا ، فـأرادت أن تداعبه ، فجعلت تقـول لـه : " هـل نمـت يـا (فـلان) كما نام أطفالنا ؟ ... إنك ستضطـرنـي إلـى أن أحملك مثلهم إلى الفـراش " ... ومـا كـان منهـا إلا أن أوقفتـه على قدميه وهى تسند إحدى ذراعيه على كتفيها ، ثـم جعلت تجره حتى مددته على السـرير ومـا أن وضعـت رأسه على الوسـادة حتـى لـوى عنقـه وإذا برشـفة مـن الشاى كان قد ارتشفها من الكوب أمام الفيديو تسـيل من جانب فمه ، وعندها صرخت الطبيبـة واسـتنجدت بجيران لها أطباء ، فهبوا إليها ثم تبينوا جميعا أن زميلهـم المذكور كان قد فارق الحياة ... !

هكذا تم الأمر ... جاءه ملك الموت لحظة ارتشافه للشاى ووضعه للكوب .. فما استطاع في تلك اللحظة أن يبصق ما ارتشف من الشاى ، ولا أن يبتلعه .. !! ... إنها لحظة الموت الخاطفة ... أحسبها كانت أسرع من لمح البصر ... وإنه كأسٌ من الشاى كان معدا ليحلو معه السهر أمام الفيديو ... فإذا بالسهرة تولى ... وإذا به يفارق الحياة محملاً بأوزار اللحظات الأخيرة ..!!

طبيب ، وشاب ، ويتمتع بصحة جيدة ، وتحيط به وسائل الراحة والرفاهية ، ويتمتع بالسعادة الزوجية .. ولكن الموت لا يفرق بين الشاب والشيخ ، والصحيح والمريض ، والغنى والفقير ، والسعيد والشقى ، والطبيب والمتطبب ... **﴿ فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾** [النحل : ٦١] .

ما ضر ذلك الطبيب لو جاءه الأجل وهو يقرأ في كتاب الله تعالى أو يقضي سهرته في قيام الليل ، بل في قراءة كتاب نافع .. بل ليته كان نائما بدلاً من السهر أمام المحرمات ! .. أليس في قصته عبرة لمن يعتبر .... وعظة بليغة لمن يتعظ ... لكل من غرَّه الشباب ، والغنى ، والصحة والعافية فغفل عن الاستعداد للحياة الحقيقية في الدار الآخرة بما ينبغي أن يستعد به لها ... وركن للحياة الدنيا وزخرفها الفاني ومتاعها الكاذب وسرابها المخادع ؟ !!

○ **أما القصة الواقعية الثالثة** : فقد نقلتها عن كتيب " العائدون إلى الله " - ٣ -وهي بعنوان " توبة شابين في المطار على يد أحد المشايخ " . والقصة كما سردها المؤلف كما يلي :

" على حضرات الركاب المسافرين على الرحلة

رقم ...، والمتوجهة إلى ...، التوجه إلى صالة المغادرة استعدادًا للسفر " ... دوى هذا الصوت في جنبات مبنى المطار ، أحد الدعاة كان جالسًا في الصالة ، وقد حزم حقائبه ، وعزم على السفر إلى بلاد الله الواسعة للدعوة إلى الله - عز وجل - سمع هذا النداء فأحس بامتعاض في قلبه ، إنه يعلم لماذا يسافر كثير من الناس إلى تلك البلاد وخاصة الشباب ... وفجأة ، لمح هذا الشيخ الجليل شابين في العشرين من عمرهما أو تزيد قليلاً ، وقد بدا من ظاهرهما ما يدل على أنهما لا يريدان إلا المتعة الحرام من تلك البلاد التى عُرفت بذلك .

" لابُد من إنقاذهما قبل فوات الأوان " قالها الشيخ في نفسه وعزم على الذهاب إليهما ونصحهما ، فوقف الشيطان في وجهه وقال له (موسوسا) : مالك

ولهما ؟ دعهمـــا يمضيـــان في طريقهمـــا ويرفهـــا عـــن نفسيهما ، إنهما لن يستجيبا لك " .

ولكن الشيخ كـان قـوى العزيمـة ثـابت الجـأش ، عالما بمداخـل الشـيطان ووساوسـه ، فبصـــق في وجـــه الشيطان ، ومضى في طريقه لا يلوي على شيء ، وعند بوابة الخروج ، استوقف الشابين بعـد أن ألقـى عليهمـا التحية ووجه إليهما نصيحـة مؤثـرة ، وموعظـة بليغـة ، وكان مما قاله لهما :

" مـا ظنكما لـو حـدث خـلل في الطائرة ولقيتما - لا قدر الله - حتفكما وأنتما على هذه النية قد عزمتما على مبارزة الجبار - جل جلاله - فبأي وجه ستقابلان ربكما يوم القيامة ؟؟ " .

ذرفت عينا هذين الشابين ، ورق قلباهما لموعظـة الشيخ ، وقاما فـورًا بتمزيـق تذاكـر السفـر ، وقـالا :

يا شيخ : لقد كذبنا على أهلينا وقلنا لهم إننا ذاهبان الى مكة أو جدة ، فكيف الخلاص ؟ ...

وماذا نقول لهم ؟ .... وكان مع الشيخ أحد طلابه ، فقال : اذهبا مع أخيكما هذا وسوف يتولى إصلاح شأنكما .... ومضى الشابان مع صاحبهما وقد عزما على أن يبيتا عنده أسبوعًا كاملاً ، ومن ثم يعودا إلى أهلهما .

وفي تلك الليلة ، وفي بيت ذلك الشاب (تلميذ الشيخ) ألقى أحد الدعاة كلمة مؤثرة زادت من حماسهما ، وبعدها عزم الشابان على الذهاب إلى مكة لأداء العمرة ، وهكذا : أرادا شيئًا ، وأراد الله شيئًا آخر ، فكان ما أراده الله - عز وجل - ... وفي الصباح ، وبعد أن أدى الجميع صلاة الفجر ، انطلق الثلاثة صوب مكة - شرفها الله - بعد أن أحرموا من الميقات ، وفي الطريق كانت النهاية وكانت الخاتمة ،

وكان الانتقال إلى الدار الآخرة ، فقد وقع لهم حادث مروع ذهبوا جميعًا ضحيته ، فاختلطت دماؤهم الزكية بحطام الزجاج المتناثر ، ولفظوا أنفاسهم الأخيرة تحت الحطام وهم يرددون تلك الكلمات الخالدة : " لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ....."

كم كان بين موتهما وبين تمزيق تذاكر سفرهما لتلك البلاد المشبوهة ؟!... إنها ساعات معدودة ، ولكن الله أراد لهما الهداية والنجاة (وحسن الخاتمة) ، و لله الحكمة البالغة سبحانه .

أخي المسلم : إذا نازعتك نفسك الأمارة بالسوء إلى معصية الله ورسوله فتذكر هادم اللذات ، وقاطع الشهوات ، ومفرق الجماعات ، الموت !... واحذر أن يأتيك وأنت على حال لا تُرضي الله عز وجل ، فتكون من الخاسرين !

وإذا خلـوت بـريبـةٍ في ظلـمـة
والنفـس داعيـة إلـى العصيـان
فاستحي مـن نظـر الإلـه وقـل لها
إن الـذي خـلـق الظـلام يراني

شتان بين من يموت وهو عاكف على آلات اللهو والفسوق والعصيان ، ومن يموت وهـو ذاكر لله الواحد الديان .

شتان بين من يموت وهو في أحضان المومسـات ، ومن يموت وهو ساجد لرب الأرض والسماوات .

۞ **قصـة واقـعـيـة رابـعـة :** نقلتهـا عـن كـتــاب " روضة المحبين – ص٣١٥ – لابن قيم الجوزية " وفيها موعظة بليغة :

ذكر أبو الفرج وغيره أن امرأة جميلة كانت بمكـة وكـان لهـا زوج ، فنظـرت يومـا إلى وجههـا في المـرآة

فقالت لزوجها : أترى أحدًا يرى هذا الوجه ولا يفتتن به ؟ قال : نعم . قالت : من ؟ قال : " عبيد بن عمير (وهو إمام بالحرم المكي) قالت : فائذن لي فلأفتنه . قال : قد أذنت لك .

قال : فأتته كالمستفتية (أي كأنها تريد أن تسأله في مسألة شرعية) فخلا معها في ناحية من المسجد الحرام ، فأسفرت (أي كشفت غطاء وجهها) عن وجه مثل فلقة القمر ، فقال لها : يا أمة الله استتري ، فقالت : إني قد فتنت بك . قال : إني سائلك عن شيء فإن أنت صدقتِني نظرت في أمرك .

قالت : لا تسألني عن شيء إلا صدقتك (أي سأقول الصدق) .

قال : أخبريني لو أن ملك الموت أتاك ليقبض روحك أكان يسرك أن أقضي لك هذه الحاجة ؟

قالت : اللهم لا . قال : صدقت . قال فلو دخلتِ قبرك وأُجلست للمساءلة أكان يسرك أني قضيتها لك ؟ قالت : اللهم لا . قال : صدقت . قال : فلو أن الناس أُعطوا كتبهم ولا تدرين تأخذين كتابك بيمينك أم بشمالك أكان يسرك أني قضيتها لك . قالت : اللهم لا . قال : صدقت . قال : فلو أردت المرور على الصراط ولا تدرين هل تنجين أو لا تنجين أكان يسرك أني قضيتها لك ؟ قالت : اللهم لا . قال : صدقت . قال : فلو جيء بالميزان وجيء بك فلا تدرين أيخف ميزانك أم يثقل أكان يسرك أني قضيتها لك ؟ قالت : اللهم لا . قال : صدقت . قال : فلو وقفت بين يدي الله للمساءلة أكان يسرك أني قضيتها لك ؟ قالت : اللهم لا . قال : صدقت . قال : اتقى الله فقد أنعم الله عليك وأحسن إليك .

قال : فرجعت إلى زوجها ، فقال : ما صنعتِ ؟ قالت : أنت بطّال ونحن بطّالون ، فأقبلت على الصلاة والصوم والعبادة ، فكان زوجها يقول : ما لي ولعبيد ابن عمير أفسد على امرأتي ، كانت في كلِّ ليلة عروسًا فصيرها راهبة .

– **فانظر أخي المسلم .. أختي المسلمة** : إلى العبر المستفادة من تلك القصة : امرأة جميلة فاتنة مغترة بجمالها تحسب أنه لن يراها أحد إلا فُتن بها ومالت نفسه إليها ... ولها زوج ديوث فاقد المروءة ، عديم الغيرة ، متبلد الإحساس يشجعها على الفساد والإفساد ويخبرها بأن " عبيد بن عمير " لا تجذبه المغريات ولا تضلة الفتن ولن يحركه جمالها ... فتستأذن زوجها (متحدية) لإغراء ذلك العبد الصالح فيأذن لها (فأي صنف من البهائم يرضى أن يُصنف مثل ذلك الرجل

معه ؟!) ثم تجيء متظاهرة بحرصها على الدين وكأنها تستفتي في مسألة فتسفر للرجل عن وجهها ثم تعرض عليه نفسها ... فيعظها بطريقة حكيمة حتى يجعلها تئوب إلى ربها .

فتأتي كلمات زوجها الأخيرة لتدل على أن هناك من الناس من هو فاقد للإحساس والشعور ... يتحسر على عودة زوجته لله ويعتبر ذلك إفسادا لها ... وهذا حال أكثر الرجال في عصرنا الحاضر - إلا من رحم الله - وقليل ما هم ...

- ولقد سقت هذه القصة لمغزى معين وهو أنني أرجو من القراء أن يستعيدوا أقوال " عبيد بن عمير " للمرأة كلما هموا بمعصية الله تعالى مهما عظمت تلك المعصية أو صغرت ، ومهما كان نوعها ... ومهما كان إغراؤها ... وفي ذلك حساب للنفس قبل أن تقع

في المحظور ... ولتظل تلك الأقوال التي توزن بماء الذهب - بل هي أغلى - تردد في قلوبنا كلما أمرتنا النفس بالسوء أو بالظلم أو العدوان أو انتهاك الحرمات أو أكل أموال الناس بالباطل ... أو غير ذلك من المعاصي .

فلنردد دائما : هل يسرنا لو أن ملك الموت أتانا في تلك اللحظة ؟ ... هل يسرنا لو أننا ارتكبنا تلك المعصية وسُجلت في صحائفنا وحُسبت علينا عند الجواز على الصراط ؟ ...

وعند نصب الميزان ؟ ... وعند الوقوف بين يدي الله للمساءلة ؟!...

- أخي المسلم ... أختي المسلمة : فلنتق الله في أنفسنا ، ولنزن أعمالنا قبل أن تُوزن علينا ... ولنتعامل مع الدنيا بقدرها فلا نعطيها أكثر مما تستحق ولنعمل للحياة الأبدية الخالدة بما تستحق !

من فضل الصبر

○ جعل الله تعالى الحياة الدنيا دار تكليف وامتحان ، ولم يجعلها دار جزاء وقرار ، بل إن الله تعالى يمتحن الناس بالخير كما يمتحنهم بالشر فتنة لهم وتمحيصا لصدق إيمانهم .. وقد يكون الامتحان بالخير أشد فتنة من الامتحان بالشر ، فعند الابتلاء بالخير قد ينسى الإنسان ربه بينما هو في حال الامتحان بالشر تراه منكسر النفس ، كثير التوجه إلى الله ، قال تعالى : **﴿ ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون ﴾** [الأنبياء : ٣٥] .

وقد تنبه سليمان عليه السلام إلى تلك الحقيقة ، وقد رزقه الله تعالى التمكين الهائل في الأرض فإذا به يقول فيما يحكيه عنه القرآن الكريم **﴿ هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ، ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم ﴾** [النمل : ٤٠] .

بـل إن الله تعالى خـص المؤمنين مـن عباده والطائعين لـه وعلى رأسهم الأنبياء بأشد ألوان البلاء وفي ذلك إشارة إلـى أن الحياة الدنيا ليست دار جزاء بل هى دار اختبار وابتلاء ، وإشارة إلى أن الله تعالى لا يعطي الدنيا لمن يحب وما ذلك لهوان العبد عليه بل لهوان الدنيا على الله تعالى ، ولولا أن يعتقد الجهلة أن إعطاء الله المال والمتاع الدنيوي دليل على محبته لمن أعطاه ، فيجتمعوا على الكفر لأجل ذلك ؛ لجعـل الله لمـن يكفر به لبيوتـهـم سلالم من فضة وزخرفًا من ذهب .

قال تعالى : ﴿ **ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سُقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ۞ ولبيوتهم أبوابًا وسررًا عليها يتكئون ۞ وزخرفا وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين** ﴾ [الزخرف : ٣٣ - ٣٥] .

ذلك لأن الله تعالى يعجل للكافر بحسناته في الدنيا ليوافي الآخرة وليس له عند الله تعالى حسنة يجزيه بها .

وقال ﷺ " **الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر** " . رواه مسلم . وفي ذلك كله ابتلاء للمؤمن والكافر على حدٍ سواء !

وفي حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : **قلت يا رسول الله : أي الناس أشد بلاء ؟ قال : الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل ، يُبتلى الرجل على حسب دينه ، فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه ، وإن كان في دينه رقة خُفف عنه ، وما يزال البلاء بالمؤمن حتى يمشي على الأرض وليس عليه خطيئة** " . رواه البخاري وأحمد والنسائي .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : **دخلت على رسول الله ﷺ وهو يوعك فقلت : يا**

رسول الله إنك توعك وعكًا شديدًا . قال : " أجل إني أوعك كما يوعك رجلان منكم " . قلت : ذلك أن لك أجرين ؟ قال : " أجل ذلك كذلك ، ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها إلا كَفّر الله بها سيئاته كما تحط الشجرة ورقها " متفق عليه .

الوعك : حرارة الحمى وألمها . يُقال : وعكه المرض وعكًا أي اشتد به .

وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : ما رأيت الوجع أشد منه على رسول الله ﷺ . ا.هـ .

بل إن رسول الله ﷺ مكث حوالي ثلاثة عشر أو أربعة عشر يومًا وهو مريض قبل موته ، وقبل الوفاة بخمسة أيام اشتد به الوجع وأُغمي عليه وكان يصلي بالناس على الرغم من ذلك جميع صلواته حتى صلاة

المغرب من قبل الوفاة بأربعة أيام ، وعند العشاء ثقل عليه المرض فاغتسل لينشط لصلاة العشاء ولكنه أغمي عليه ثم أفاق فقال : أصلى الناس ؟ ووقع ثانيا وثالثًا ما وقع في المرة الأولى من الاغتسال ثم الإغماء فأرسل إلى أبي بكر أن يصلي بالناس فصلى أبو بكر تلك الأيام إلى أن لحق رسول الله ﷺ بالرفيق الأعلى .

– ولقد ذكرت مرض وفاة رسول الله ﷺ لأن البعض قرنوا بين عذاب الجسد بالمرض وخروج الروح وذلك لعلمهم بأن المؤمن تخرج روحه بسهولة تامة والكافر على عكس ذلك ، وغفلوا عن أن مرض الجسد فيما يبدو لهم لا دخل له بخروج الروح التي هي غير مرئية لهم وبالتالي لا يمكن لأحد أن يعرف هل خرجت بسهولة أم بصعوبة .... بل على العكس من ذلك فإن المرض وخاصة عند الموت يعتبر خيرًا

للمسلم ، لقوله ﷺ : " **من يُرد الله به خيرًا يُصب منه** " رواه البخاري . وقوله ﷺ " **ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه** " متفق عليه .

ومعنى النصب : التعب ، والوصب : المرض .

– لهذا كله فإن الله تعالى يخص من يحبهم بالبلاء رفعًا لدرجاتهم وكفارة لخطاياهم . قال ﷺ : " **إن عظم الجزاء مع عظم البلاء وإن الله تعالى إذا أحب قومًا ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط** " . رواه الترمذي ، وقال : حديث حسن .

وقال ﷺ : " **إذا أراد الله بعبده خيرًا عجل له العقوبة في الدنيا ، وإذا أراد الله لعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة** " . وقال رسول الله ﷺ : " **ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في**

نفسه وولده وماله حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة " . رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

– ثم إن إيمان المرء لابد أن يخضع للابتلاء ، ولا ريب أن الله تعالى يعلم حقيقة إيمان الناس ولكنه بابتلائهم يقيم الحجة عليهم ، فعند الشدائد يتبين للإنسان صدق إيمانه من زيفه وتشهد عليه بذلك جوارحه وأعضائه ، قال الله تعالى : **﴿ أحسب الناس أن يُتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ۞ ولقد فتنا الذين من قبلهم ، فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴾** [العنكبوت : ٢-٣].

وقال تعالى : **﴿ ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم ﴾** . [محمد : ٣١].

– ومن الخطأ أن يظن المسلم أن تلاحق الأذى والمصائب عليه آية على نسيان الله له وإبعاده عن رحمته .

فهـا هـو رسـول الله ﷺ يقول : " **الكـريـم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بـن إسحاق بن إبراهيم** " رواه البخاري .

فهو نبـي تربى في حجور أنبياء، وتحدّر من شجرة عريقة ، وهـو كـريـم على الله بالاجـتـبـاء والرسالة ... فانظر إلى هذا الكريم كيف قضى مراحل حياته الأولى وهو يخرج من ضائقة ليدخل في أخرى ... فقد أمه وهو طفل ثم تآمر عليه إخوته فاختطفوه من أحضان أبيه ورموا به في البئر ليلقى في غيابتها مصيره المجهول ، واستنقذه السيارة ليمتلكوه عبدا ثم يبيعوه في سوق الرقيق بثمن بخس دراهم معدودة ، وابتاعه عزيز مصر فما أن آواه في القصر حتى تعرض للدسائس الماكرة فاتهم (.وهو العفيف المحصن) بأنه يبغي السوء والفحشاء ، وعلى الرغم من ظهور براءته فقد طُرح في السجن مع

الأشقياء لا أيامًا أو شهورًا ، بل بضع سنين !!

ولو أن شخصًا آخر غير يوسف عليه السلام نظر إلى ماضيه فوجده مثقلاً بالآلام على هذا النحو لضاق بالأرض وتنكر للسماء ، بيد أن يوسف الصديق بقي متألق اليقين وراء جدران السجن يذكّر بالله من جهلوه ، ويُبصر بفضله من جحدوه كما يبين ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ **يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ۞ ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله ، أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ [يوسف : ٣٩، ٤٠].

وذلك شأن أولى الفضل من الناس لا يفقدون صفاء دينهم إن فقدوا صفاء دنياهم ، ولا يتساقطون لنكبة حلت

بهم ... ولو تتبعنا سير الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين لوجدناها سلسلة من الابتلاءات ، والمجال يضيق هنا عن ذكرها . . ولكن ما أريد توضيحه هنا هو أن المصائب التي تصيب الناس تعتبر خيرًا لهم وإن بدا ظاهرها شرًّا .

قال الله تعالى : ﴿ **ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين ۞ الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ۞ أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون** ﴾ [سورة البقرة : ١٥٥ - ١٥٧] .

وأخرج الإمام مسلم عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : (**سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول : إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرًا منها إلا آجره الله**

تعالى في مصيبته وأخلف له خيرًا منها ، قالت : فلما توفي أبو سلمة ، قلت كما أمرني رسول الله ﷺ ، فأخلف الله تعالى لي خيرًا منه ، رسول الله ﷺ) بمعنى أنه تزوجها رسول الله ﷺ فأصبحت من أمهات المؤمنين .

– وقد تضمنت هذه العبارة " إنا لله وإنا إليه راجعون " علاجًا من الله ورسوله لأهل المصائب .

ذلك لأنها تتضمن أصلين عظيمين إذا تحقق العبد بمعرفتهما تسلى عن مصيبته .

۞ أحد الأصلين : أن يتحقق العبد أن نفسه وأهله وماله وولده ملك لله عز وجل حقيقة ، وقد جعله الله عند العبد عارية فإذا أخذه منه فهو كالمعير يأخذ عاريته من المستعير ثم إن الله تعالى أوجد العبد من عدم ، ووهبه تلك النعم فهو لا يمتلكها ملكًا حقيقيًا ، ولهذا لا يباح له أن يتصرف فيها من التصرفات إلا بما

وافق أمر مالكه الحقيقى وهو الله سبحانه وتعالى .

والأصل الثاني : أن مصير العبد ومرجعه إلى الله مولاه الحق ولابد أن يخلف الدنيا وراء ظهره ويأتي ربه فردًا كما خلقه أول مرة بلا أهل ولا مال ولا عشيرة ولكن يأتيه بالحسنات والسيئات ، فإذا كانت هذه بداية العبد وما خوله فيه (أي ما أعطاه إياه) ، ونهايته وحاله فيه ، فكيف يفرح العبد بولد أو مال أو غير ذلك من متاع الدنيا ؟ أم كيف يأسى على مفقود ؟ !!

فينبغي على المؤمن الصبر إزاء كل مصيبة " فالصبر ضياء " كما ورد في الحديث الصحيح ، وهو أحد شروط الفلاح الأربعة التي تضمنتها " سورة العصر " وقال تعالى : ﴿ **إن الله مع الصابرين** ﴾ [سورة البقرة : ١٥٣]. وقال تعالى : ﴿ **إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب** ﴾ [سورة الزمر : ١٠].

– والمصائب متنوعة منها ما يتعلق بالنفس البشرية كالخوف ، ومنها ما يتعلق بالبدن كالمرض ، ومنها ما يتعلق بنقص الأنفس ، ومنها ما يتعلق بنقص الثمرات والزروع ، ولما كان موضوع بحثنا هو الموت فإنني سأكتفي بذكر أحاديث فضل الصبر المتعلقة به :

◌ أولاً : فضل من مات صفيّه من أهل الدنيا أو ولدٌ واحدٌ له :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : يقول الله تعالى : " **ما لعبدي المؤمن عندى جزاء إذا قبضت صفيه** [1] **من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة** " رواه البخاري .

– وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن

(١) صفيّه : الذي يخلص له الودّ

رسول الله ﷺ قال : " **إذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته : قبضتم ولد عبدي ؟ فيقولون : نعم ، فيقول : قبضتم ثمرة فؤاده ؟ فيقولون : نعم . فيقول : فماذا قال عبدي ؟ فيقولون : حمدك واسترجع . فيقول الله تعالى : " ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد** " رواه الترمذي ، وقال : حديث حسن .

– وعن قرة المزني رضي الله عنه قال : **كان نبي الله ﷺ إذا جلس ، يجلس إليه نفر من أصحابه ، وفيهم رجل له ابن صغير ، يأتيه من خلف ظهره فيُقعده بين يديه ، [فقال له النبي ﷺ : تحبه ؟ فقال : يا رسول الله أَحبك الله كما أُحبه !] ، فهلك " أي مات الولد " فامتنع الرجل أن يحضر الحلقة ، لذكر ابنه ، فحزن عليه ، ففقده النبي ﷺ فقال : ما لي لا أرى فلانًا ؟ فقالوا : يا رسول الله بنيّه الذي رأيته هلك**

(أي مات) ، **فلقيه النبي ﷺ ، فسأله عن بنيّه ، فأخبره بأنه هلك ، فعزّاه عليه ، ثم قال : يا فلان ! أيما كان أحب إليك أن تُمتع به عمرك ، أو لا تأتي غدا إلى باب من أبواب الجنة إلا وجدته قد سبقك إليه يفتحه لك ؟ قال : يا نبي الله ، بل يسبقني إلى باب الجنة فيفتحها إليّ ، لهو أحب إليّ . قال : فذاك لك ، [فقال رجل " من الأنصار " : يا رسول الله " جعلني الله فداءك " أله خاصة أو لكلنا ؟ قال : بل لكلكم] .**

أخرجه النسائي والسياق له ، وابن حبان في صحيحه ، والحاكم وأحمد . وقال الحاكم : صحيح الإسناد ، ووافقه الذهبي . وقال الألباني في (أحكام الجنائز وبدعها) : وهو كما قالا .

○ ثانيًا : فضل من مات له أكثر من واحد :

– عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **" ما من مُسلِمَين يموت لهما ثلاثة أولاد لم يبلغوا الحنث** (أي سن البلوغ) **إلا أدخلهم الله الجنة وآباءهم بفضل رحمته " قال : يُقال لهم : ادخلوا الجنة . قال : يقولون حتى يجيء أبوانا . قال : ثلاث مرات ، فيقولون مثل ذلك . قال : " فيُقال لهم : ادخلوا الجنة أنتم وآباؤكم "** رواه أحمد .

– وروى البخاري من حديث ذكوان عن أبي سعيد أن النساءَ قلن للنبي ﷺ : **اجعل لنا منك يومًا . فوعظهن ، وقال : " أيما امرأة مات لها ثلاثة من الولد كُن لها حجابًا من النار ، قالت امرأة : واثنان . قال واثنان " وقال شريك عن ابن الأصبهاني :**

حدثنا أبو صالح ، عن أبي سعيد وأبي هريرة عن النبي ﷺ ، قال أبو هريرة : لم يبلغوا الحنث .

(أي أن الثلاثة أو الاثنين دون سن البلوغ) .

– وأخرج الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أتت امرأة بصبى لها ، فقالت : يا نبى الله ، ادعُ الله ، فلقد دفنت ثلاثة ، فقال : **دفنت ثلاثة ؟** قالت : نعم . قال : **لقد احتظرتِ بحظار شديد من النار** . ومعنى احتظرت : أي لقد احتميت بحمى عظيم من النار ، يقيك حرها ، ويؤمّنك من دخولها .

تنبيه : هذا كله للأبوين المسلمين المؤديين لأركان الإسلام ، أما إن كانا غير مسلمين فليس لهما أن يدخلا الجنة بفضل من مات لهما من الأطفال .

– وقد كان سلفنا الصالح يفرحون بالمصائب ويطلبونها نظرًا إلى ما يترتب عليها من أجر .

– فقد روى ابن عساكر بإسناده ، عن سهل بن الحنظلية الأنصاري – وكان لا يولد له – فقال : " لأن يُولد لي ولو سِقطٌ فأحتسبه أحب إلى من أن يكون لى الدنيا بأجمعها " . والسقط : الولد الذي يسقط من بطن أمه قبل تمامه .

– وروى هناد بن السري في الزهد ، عن كثير ابن تميم الداري ، قال : كنت جالسًا مع سعيد بن جبير فطلع عليه ابنه عبد الله بن سعيد ، وكان به من الفقه ، فقال : إني لأعلم خير حالاته ، فقالوا : وما هو ؟ قال : أن يموت فأحتسبه !

– وقال أبو مسلم الخولاني – رحمه الله – : لأن يُولد لي مولود يُحسن الله نباته ، حتى إذا استوى على شبابه ، وكان أعجب ما يكون إلي ، قبضه الله تعالى مني ، أحب إلي من أن تكون الدنيا وما فيها لي .

– فعلى المسلم أن يتعظ بأحوال الصالحين فلا يهلكه الجزع ، وليحمد الله أن مصيبته ليست في دينه ؛ ذلك لأن المصيبة في الدين أعظم مصائب الدنيا والآخرة فهي الخُسران الذي لا ربح معه ، والحرمان الذي لا طمع معه .

وقد حكى ابن أبي الدنيا عن شريح أنه قال : إني لأُصاب بالمصيبة فأحمد الله عليها أربع مرات وأشكره ، إذ لم تكن أعظم مما هي ، وإذ رزقني الصبر عليها ، وإذ وفقني الاسترجاع لما أرجوه فيها من الثواب ، وإذ لم يجعلها في ديني .

– كما يجب أن نتذكر قوله تعالى : **﴿ كل من عليها فان ۝ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾** [الرحمن : ٢٦ ، ٢٧] ... فمن يوقن ذلك حق اليقين لا يبكي على هالك لعلمه أنه سيلحق به إن عاجلاً أو آجلاً ..

وقد أجاد القائل :

إنـي معزيـك لا أنـي علـى ثقـةٍ
مـن الخلـودِ ولكن سنـة الديـنِ
فمـا المُعـزَّى بباقٍ بـعـد مـيِّتـهِ
ولا المعزِّي وإن داما إلى حيـن



أحكـام المـوت

الوصية :

وهي ما يكتبه الشخص قبل موته يوصي بـه لغـير الـورثـة كـأن يـتـبرع بجـزء من مـاله أو متاعـه أو كتبـه لوجه الله ، ولا يجوز أن يوصي الإنسان لوارث سيرث منه لقوله ﷺ فـي خطبته في حجة الوداع : " **إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه ، فلا وصية لوارث** " أخرجه أبو داود والترمذي وحسنه والبيهقي .

ويوصي الإنسان بما يبلغ الثلـث مـن مالـه أو أقـل مـن ذلـك ، ويُشْهِـد علـى الوصيـة رجلـين عدلـين مسلمين ، فإن لم يوجدا فرجلين من غير المسلمين علـى أن يستوثق منهما عند الشك بشـهادتهما . كمـا يحـرم الإضرار في الوصية كأن يوصي بحرمان بعض الورثة من حقهم في الإرث أو يفضـل بعضهـم علـى بعـض فيـه .

كما يستحب أن يوصي باجتناب البدع في الجنازة وتوابعها ويؤكد على ذلك . وينبغي أن يوصي بأداء ما عليه من حقوق إلى أصحابها كالديون وغيرها إن كان ذلك غير متيسر له عند كتابة الوصية .

◌ تلقين المحتضر الشهادة :

وذلك يكون ممن يحضره لقوله ﷺ : " **لقنوا موتاكم لا إله إلا الله** " رواه الإمام مسلم .

والتلقين يكون بأن يأمر المحتضر أن يقول لا إله إلا الله ، فإن تكلم بعدها بكلام آخر فإن عليهم إعادة تلقينه لقوله ﷺ : " **من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة** " رواه أبو داود والحاكم وقال : صحيح الإسناد . يقول الألباني : وليس التلقين ذكر الشهادة بحضرة الميت وتسميعها إياه ، بل هو أمره بأن يقولها خلافا

لما يظن البعض ، والدليل حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ عاد رجلا من الأنصار فقال : " **يا خال ! قل : لا إله إلا الله " فقال : أخال أم عم ؟ فقال : بل خال . فقال : فخير لي أن أقول لا إله إلا الله ؟ فقال النبي ﷺ : " نعم "** . أخرجه أحمد بإسناد صحيح على شرط مسلم ، وذكر الألباني أن قراءة سورة يس عند المحتضر وتوجيهه نحو القبلة لم يصح فيهما حديث .

۞ ما على الحاضرين بعد موته :

إذا توفي المحتضر وأسلم الروح فعلى الحاضرين ما يلي : -

(١) أن يغمضوا عينيه ويدعوا له بالخير لأن الملائكة تؤمّن على ما يقولون ، كما يُستحب الاسترجاع عند المصيبة وهو قول إنا لله وإنا إليه راجعون .

۞ أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : " **دخل رسول الله ﷺ على أبي**

سلمة ، وقد شق بصره ، فأغمضه ثم قال : " إن الروح إذا قُبض تبعه البصر ، فضج ناس من أهله فقال : لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة يؤمّنون على ما تقولون " . ثم قال **" اللهم اغفر لأبي سلمة ، وارفع درجته في المهديين ، واخلفه في عقبه في الغابرين ، واغفر لنا وله يارب العالمين ، وافسح له في قبره ، ونور له فيه "** . فيستحب الدعاء بذلك عند تغميض الأموات . ومعنى (الغابرين : الباقين) ..

(٢) أن يغطوه بثوب يستر جميع بدنه باستثناء من مات محرما للحج أو العمرة ، لأن المحرم لا يغطى رأسه ووجهه ، كما يجب الاقتصار في تكفينه على ثوبي الإحرام .

– عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال في المحرم الذي سقط عن راحلته فمات وذلك وهو

واقف بعرفة على راحلته كما في البخاري : (**اغسلوه بماء وسدر وكفنوه في ثوبيه** (أي في ثوبي إحرامه) متفق عليه . وتمام الحديث " **ولا تحنطوه ولا تخمروا رأسه** (**ولا وجهه**) ، **فإنه يبعث يوم القيامة ملبيا** " .

ومعنى لا تحنطوه : لا تطيبوه بالطيب وهو الكافور أو العطور .

(٣) يجوز تقبيل الميت لمن أراد ذلك من أقاربه وأصحابه .

(٤) يحرم على أقارب الميت والحاضرين النياحة عليه وحلق الشعر أو نشره ، والنعى (أي الإخبار بموته) بما يشبه ما كان عليه أهل الجاهلية من الضجيج والبكاء على أبواب الدور والأسواق ، أما الإعلان عن موته للقيام بحقه من الغسل والتكفين والصلاة عليه فهو جائز . ويستحب للمعلن عن

الموت أن يطلب من الناس أن يستغفروا للميت كما فعل رسول الله ﷺ عندما نعى النجاشي وأمراء الجيش الثلاثة في سرية مؤتة .

٣- غسل الميت :

إذا مات الميت وجب غسله ، ويقوم بغسله من هو أعرف بسنة الغسل من أهله وأقاربه ، ويغسل المرأة النساء ويغسل الرجل الرجال باستثناء الزوجين فإنه يجوز أن يغسل كل منهما الآخر باتفاق الفقهاء . أما الشهيد قتيل المعركة فلا يغسل . أخرج الإمام أحمد من حديث جابر أنه ﷺ قال في قتلى أحد : **" لا تغسلوهم فإن كل جرح أو دم يفوح مسكا يوم القيامة "** .

أما عن كيفية الغسل فيراعى فيه ما يلي : -

○ يوضع الميت فوق مكان مرتفع كالسرير

ويوضع فوقه ساتر من السرة إلى الركبة للرجل ، ومن أعلى الصدر حتى أسفل الساقين للمرأة ثم يجرد من الثياب من تحت ذلك الساتر .

○ ينبغي أن يتولى غسل الميت الثقة الأمين الصالح لقوله ﷺ : " **ليغسل موتاكم المأمونون** " رواه ابن ماجه .

○ وتجب النية عليه (أي ينوي الغسل للميت) ثم يلف يده بخرقة أو قفاز حتى لا تلمس عورة الميت لأن لمسها حرام . ويكون ماء الغسل للميت كما هو الحال لغسل الحي لا باردًا ولا شديد الحرارة .

○ يعصر الغاسل بطن الميت عصرا رقيقا لإخراج ما عسى أن يكون بها ، ويزيل ما على بدنه من نجاسة وذلك كله من تحت الساتر ويسمي عليه .

○ ثم يوضيء الغاسل الميت كوضوء الصلاة من غير مضمضة ولا استنشاق بل يُمسح الفم والأنف مسحًا .

○ يغسل بدن الميت كله بالماء ثلاث مرات أو خمس مرات أو سبع مرات أو تسع مرات (أي وترا فردا) حسب اجتهاد الغاسل مع البدء بالميامن .

○ يراعى عدم قلب الميت على وجهه لغسل ظهره بل يغسل برفعه من كل جانب على حدة ، ويفيض الماء حتى يرى أنه وصل إلى جميع بدنه .

○ يقرن ماء الغسل بالسدر (إن وجد) أو ما يقوم مقامه في التنظيف كالصابون ، واختلف العلماء في مزج ورق السدر بالماء اللازم لغسل الميت أو دعك بدن الميت بالسدر مع صب الماء عليه والمشهور عند الجمهور انه غسل تعبدي يشترط فيه ما يشترط في الاغتسالات الواجبة والمسنونة (أي من عدم خلط الماء الطهور بشيء) . وعلى ذلك يدعك البدن بالسدر مع صب الماء الطهور عليه خروجا من الخلاف .

۞ يُخلط الكافور المطحون بالماء ويصب على جميع بدن الميت في نهاية الأغسال (ويوجد الكافور لدى العطارين وهو مكعب أبيض شمعي الشكل) وذلك لقول رسول الله ﷺ لمن تولين غسل إحدى بناته بعد موتها : " **اغسلنها ثلاثا أو خمسا أو أكثر من ذلك بماء وسدر واجعلن في الأخيرة كافورا ، فإذا فرغتن فآذنني** " (أي أخبرنني) رواه الجماعة عن أم عطية .

۞ يسرح الشعر (أي يمشط) ويجعل ثلاث ضفائر للمرأة شعر الناصية وهو مقدمة الرأس وشعر الجانبين ويلقى خلفها ، ويوضع الشعر الساقط في الكفن .

تنبيه :

يستحب لمن غسل الميت أن يغتسل كما يجب أن يستر عليه ولا يحدث بما يرى من مكروه وأن يبتغي بتغسيل الميت وجه الله وليس الأجر المادي لقوله ﷺ :

" من غسل مسلما فكتم عليه غفر له الله أربعين مرة ، ومن حفر لـه فأجنّه أُجْرِيَ عليه كأجر مسكن أسكنه إياه إلى يوم القيامة ، ومن كفّنه كساه الله يوم القيامة من سندس وإستبرق الجنة " . أخرجه البيهقي والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم . ووافقه الذهبي . وقال الألباني : وهو كما قالا . ورواه الطبراني في الكبير بلفظ " أربعين كبيرة "

٤- تكفين الميت :

بعد الفراغ من الغسل يجفف بدن الميت ثم يُكفن ، والتكفين يكون لجميع أموات المسلمين بلا استثناء (حتى الشهيد) ويستحب في الكفن ما يلي : -

۞ أن يكون حسنا نظيفا ساترا للبدن لقوله ﷺ **" إذا ولي أحدكم أخاه فليحسن كفنه "** رواه

ابن ماجه والترمذي وحسنه .

○ أن يكون أبيض اللون : لقوله ﷺ " **البسوا من ثيابكم البيض فإنها من خير ثيابكم وكفنوا فيها موتاكم** " رواه أحمد وأبو داود والترمذي وصححه .

○ أن يبخر الكفن ثلاث مرات لقوله ﷺ : " **إذا أجمرتم الميت فأجمروه ثلاثا** " رواه أحمد والحاكم وصححه .

○ أن يكون الكفن ثلاث لفائف للرجل يدرج فيها إدراجا أو قميص من الرقبة لأسفل وإزار يلف من فوق القميص لأسفل ثم لفافة تغطي جميع جسده بما في ذلك رأسه وقدميه ويربط من فوق الرأس ومن تحت القدمين ومن الوسط ربطا خارجيا وتحل أربطته تلك بعد تسجيته في القبر (إلا المحرم فإنه يكفن في ثوبي الإحرام دون تبخيرهما أو تطييبهما ودون تغطية الرأس

والوجه للرجل المحرم) أما الشهيد فلا يجوز نزع ثيابه التي قتل فيها عنه ويستحب تكفينه بثوب فوق ثيابه .

○ أما الكفن بالنسبة للمرأة فهو خمسة أثواب :

إزار وهو لفافة من الوسط إلى أسفل ويشد به الفخذان تحت الدرع ، ودرع (وهو قميص من الرقبة حتى أسفل الجسم) ، وخمار (وهو غطاء للرأس) ، وثوبين (الأول لفافة تضم الإزار والدرع من الداخل ، والثاني لفافة تغطي الجسم كله من الخارج بما في ذلك الرأس والقدمين) وتربط عند الرأس والوسط والقدمين وتحل الأربطة في القبر . وتكفن المحرمة بثياب الإحرام دون تبخيرها .

تنبيه :

وإن لم يتيسر الكفن السابغ الذي يستر جميع البدن سُتر الرأس وما طال من الجسد أما ما بقي مكشوفا فيستر بالنبات . كما ورد في السنة .

– وقد ذكر الألباني " أن المرأة كالرجل في التكفين إذ لا دليل على التفريق " . ولكن الصحيح خلاف ما ذَكر . فقد قال البخاري : قال الحسن : الخرقة الخامسة يُشد بها الفخذين والوركين تحت الدرع . وقال الإمام ابن حجر في فتح الباري : (هذا يدل على أن أول الكلام أن المرأة تكفن في خمسة أثواب . وقد وصله ابن أبي شيبة نحوه وروى الجوزقي من طريق إبراهيم بن حبيب بن الشهيد عن هشام عن حفصة عن أم عطية قالت : " فكفناها في خمسة أثواب وخمرناها كما يخمر الحى " وهذه الزيادة صحيحة الإسناد . ا.هـ (١٥٩/٣ – من الفتح – باب كيف الإشعار للميت). ونقل سيد سابق قول ابن المنذر : أكثر من نحفظ عنه من أهل العلم يرى أن تُكفن المرأة في خمسة أثواب .

٥- الصلاة على الميت :

○ من المتفق عليه بين أئمة الفقه أن الصلاة على الميت فرض كفاية إن أداه البعض سقط عن الباقين وهي تنفع الميت .

○ وتؤدى من الرجال والنساء كذلك فرادى وجماعات ويستحب تكثير جماعة الجنازة لقوله ﷺ " **ما من ميت يصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون له إلا شفعوا** " رواه أحمد ومسلم والترمذي . ومعنى يشفعون له أي يخلصون له الدعاء ويسألون له المغفرة . ولقوله ﷺ : " **ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلا لا يشركون بالله شيئا إلا شفعهم الله فيه** " رواه أحمد ومسلم وأبو داود .

○ ولمن صلى على الميت أجر عظيم لقوله ﷺ " **من تبع جنازة وصلى عليها فله قيراط . ومن تبعها**

حتى يفرغ منها فله قيراطان ، أصغرهما مثل أحد " .
رواه الجماعة . والقيراط هنا أجر وثواب بمقدار الجبل .
هذا كله فضلاً عن أن من حق المسلم على المسلم اتباع جنازته ! ويُصلى على كل مسلم إلا الشهيد (قتيل الأعداء في المعركة) ، وهذا هو الصحيح . قال الشافعي : جاءت الأخبار كأنها عيان من وجوه متواترة " أن النبي ﷺ لم يصل على قتلى أحد " وما روي أنه ﷺ صلى عليهم وكبر على حمزة سبعين تكبيرة لا يصح " . وأما حديث عقبة بن عامر الذي رواه البخاري بأنه ﷺ صلى على قتلى أحد . فإن ذلك وقع بعد ثمان سنين ، وكأنه ﷺ دعا لهم واستغفر لهم حين علم قرب أجله مودعا بذلك ، ولا يدل على نسخ الحكم الثابت انتهى . ويؤيد كونه دعا لهم عدم الجمعية بأصحابه إذ لو كانت صلاة الجنازة لأشعر أصحابه

وصلاها جماعة كما فعل في صلاته على النجاشي ، فإن الجماعة أفضل قطعا وأهل أحد أولى بالأفضل . ولأنه لم يرد عنه أنه صلى على قبر فرادى . وحديث عقبة أخرجه البخاري بلفظ " أنه ﷺ صلى على قتلى أحد بعد ثمان سنين " زاد ابن حبان " ولم يخرج من بيته حتى قبضه الله " . (ذكره الصنعاني في سبل السلام ٢/٩٨) .

○ كيفية الصلاة على الميت :

يُشترط لمن أراد أن يصلي على الميت ما يُشترط في سائر الصلوات المكتوبة من الطهارة وستر العورة واستقبال القبلة .

ويقوم المصلي منفردا أو الإمام وراء رأس الرجل ووسط المرأة الميتين في اتجاه القبلة (والسنة أن تُصلى جماعة وأقل ما ورد في انعقادها جماعة ثلاثة أفراد)

- ينوي المصلي الصلاة على الميت ويرفع يديه مع

أول تكبيرة ثـم يضـع يـده اليمنـى علـى اليسـرى فـوق صدره ويشرع في قراءة الفاتحة سرا ، ثم يكـبر ويصلـي على النبـي (ويستحسن أن يكون ذلك بالصيغـة التـي فـي الجزء الأخير من التشهد للصلاة) .

ثم يكبر ويدعو للميـت ، ثـم يكـبر ويدعـو مـرة أخـرى مخلصا الدعاء للميت ثـم يُسلِّم سرًا عـن يمينـه فقط . (كل ذلك دون ركوع أو سجود) .

تنبيه هام :

- بالنسبة لرفع اليديـن في تكبـيرات الجنـازة فقـد اختلف العلماء في ذلك . فذهب الشافعي إلى أنه يُشرع مـع كـل تكبـيرة . وحـكـاه ابـن المنـذر عن ابن عمر وعمر بن عبد العزيز وعطـاء وسالـم بـن عبد الله وقيس بن أبـي حـازم والزهـري والأوزاعـي وأحمـد وإسـحاق واختاره ابن المنذر .

وقال الثوري وأبو حنيفة وأصحاب الرأي أنه لا يرفع عند سائر التكبيرات بل عند الأولى فقط .

وعن مالك ثلاث روايات : الرفع في الجميع ، والرفع في الأولى فقط ، وعدم الرفع في كل التكبيرات .

- واختار الشوكاني وابن حزم عدم رفع الأيدى في غير التكبيرة الأولى من صلاة الجنازة لأن ما ورد عن الرفع كان عن بعض أفعال الصحابة وأقوالهم لا عن فعل النبي ﷺ وقال الشوكاني : (والحاصل أنه لم يثبت في غير التكبيرة الأولى - شيء يصلح للاحتجاج به عن النبي ﷺ وأفعال الصحابة وأقوالهم لا حجة فيها فينبغي أن يُقتصر على الرفع عند تكبيرة الإحرام لأنه لم يُشرع في غيرها إلا عند الانتقال من ركن إلى ركن كما في سائر الصلوات ولا انتقال في صلاة الجنازة) " نيل الأوطار -٤/١٠٥"

۞ من الأدعية الثابتة التي يُدعى بها للميت في صلاة الجنازة :

(١) " اللهم اغفر له وارحمه ، وعافه واعفُ عنه وأكرم نزله ، ووسع مدخله ، واغسله بالماء والثلج والبرد ، ونقهِ من الخطايا كما يُنَقى الثوب الأبيض من الدنس ، وأبدله دارا خيرا من داره ، وأهلاً خيرًا من أهله ، وزوجًا خيرًا من زوجه ، وأدخله الجنة ، وأعذهُ من عذاب القبر ، ومن عذاب النار " .

(٢) " اللهم اغفر لحينا وميتنا وشاهدنا وغائبنا ، وصغيرنا وكبيرنا ، وذكرانا وأنثانا ، اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام ومن توفيته فتوفه على الإيمان ، اللهم لا تحرمنا أجره ولا تضلنا بعده "

(٣) " اللهم إن فلان ابن فلان في ذمتك ، وحبل جوارك ، فقه فتنة القبر ، وعذاب النار ، وأنت أهل الوفاء والحق ، فاغفر له وارحمه ، إنك أنت الغفور الرحيم " .

(٤) " اللهم عبدك وابن أمتك احتاج إلى رحمتك ، وأنت غنيٌّ عن عذابه إن كان محسنًا فزد في حسناته وإن كان مسيئًا فتجاوز عنه " .

۞ حكم السقط :

(وهو الجنين الذي ينزل ميتًا قبل تمام مدة الحمل)

– فالسقط إذا لم يأتِ عليه أربعة أشهر لا يغسل ولا يصلى عليه ، ويلف في خرقة ويدفن من غير خلاف بين جمهور الفقهاء .

– فإن أتى عليه أربعة أشهر فصاعدًا فإنه يُغسل ويُصلى عليه على أصح الأقوال " لأنه تُنفخ فيه الروح

عند بلوغه أربعة أشهر " ويُدعى لوالديه عند الصلاة عليه بالمغفرة والرحمة .

وقال النووي : " وإن كان صبيًا أو صبية اقتصر على ما في حديث " اللهم اغفر لحينا وميتنا ... إلخ " وضم إليه " اللهم اجعله فرطًا لأبويه وسلفًا وذخرًا وعظة واعتبارًا وشفيعًا ، وثقل به موازينهما ، وأفرغ الصبر على قلوبهما ولا تفتنهما بعده ، ولا تحرمهما أجره " .



٦- الدفن وتوابعه :

○ يجب دفن الميت مع اجتناب أوقات النهي لما رواه أحمد ومسلم وأصحاب السنن عن عقبة قال : **" ثلاث ساعات كان النبي ﷺ ينهانا أن نصلي فيها أو نقبر فيها موتانا : حين تطلع الشمس بازغة حتى ترتفع ، وحين يقوم قائم الظهيرة حتى تميل الشمس ، وحين تضيف الشمس (أي تميل) للغروب حتى تغرب "** .

○ يفضل اللحد على الشق :

واللحد هو الشق في جانب القبر جهة القبلة ينصب عليه اللبن (أي الطوب النيء) فيكون كالبيت المسقوف . وأما الشق فهو حفرة في وسط القبر تبنى جوانبها باللبن يوضع فيه الميت ويسقف عليه بشيء ،

ومما يدل على أفضلية اللحد ما رواه أحمد وأصحاب السنن وحسنه الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال " **اللحد لنا ، والشق لغيرنا** " .

۞ صفة إدخال الميت القبر :

من السنة إدخال الميت القبر من قبل رجل القبر . (أي مؤخر القبر) .

– ويتولى إنزال الميت (ولو كان أنثى) الرجال دون النساء ويُراعى فيمن يُنزل الأنثى الميتة قبرها أن يكون أحد محارمها أو زوجها ويُستحب أنه لم يجامع زوجته ليلة الدفن وإلا كان غيره هو الأولى بالدفن ولو كان أجنبيا عن المرأة ؛ لحديث أنس ابن مالك رضي الله عنه قال " **شهدنا ابنة لرسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ جالس على القبر ، فرأيت عينيه تدمعان ثم قال : هل**

منكم من رجل لم يقارف الليلة [أهله] ؟ فقال أبو طلحة : (نعم) أنا يا رسول الله . قال : فانزل . قال : فنزل في قبرها ، فقبرها . رواه أحمد والبخاري .

– ويُجعل الميت في قبره على جنبه الأيمن ووجهه قبالة القبلة ، ورأسه ورجلاه إلى يمين القبلة ويسارها ويقول الذي يضعه في لحده : " بسم الله وعلى سنة رسول الله أو : ملة رسول الله ﷺ " .

أو يقول " بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله ﷺ " .

– وتحل عنه أربطة الكفن . ثم يرفع القبر عن الأرض شبرًا ليتميز عن الأرض فلا يهان ، ويحرم رفعه زيادة عن ذلك ويستحب أن يكون مسنمًا غير مسطحٍ .

– ويستحب لمن شهد الدفن أن يحثو ثلاث حثيات بيديه على القبر من جهة رأس الميت لما رواه ابن ماجه " **أن النبي ﷺ صلى على جنازة ثم أتى قبر**

الميت فحثى عليه من قبل رأسه ثلاثا " .

– يُعلّم القبر بحجر أو علامة ليعرف .

○ الدعاء للميت بعد الفراغ من الدفن :

يستحب الاستغفار للميت عند الفراغ من دفنه وسؤال التثبيت له لأنه يُسأل في تلك اللحظة . فعن عثمان قال : **كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه ، فقال : " استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت فإنه الآن يسأل "** رواه أبو داود ، والبزار ، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي ، وقال النووي : " إسناد جيد " .

– وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : **إذا دفنتموني فأقيموا حول قبري قدر ماتنحر جزور ويقسم لحمها حتى أستأنس بكم وأعلم ماذا أراجع به رسل ربي** . رواه مسلم .

– ويجوز للحاضرين الجلوس عنده أثناء الدفن بقصد الموعظة ؛ للحديث الذي رواه علي رضي الله عنه قال : **كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا رسول الله ﷺ ، فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة** (أي عصا كالعكّاز) **فنكس وجعل ينكت بمخصرته** (أي يضرب بها التراب والحصى) **ثم قال : ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة فقالوا : يا رسول الله " أفلا نتكل على كتابنا ؟ فقال : اعملوا ، فكل ميسر لما خلق له "** . وذكر تمام الحديث . متفق عليه .

– ويحرم بناء المساجد على القبور واتخاذ السرج عليها أي المصابيح لما رواه أحمد وأصحاب السنن إلا ابن ماجه وحسنه الترمذي عن ابن عباس قال : **لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج)** .

– ولا يجوز الصلاة على الجنازة بين القبور لنهي رسول الله ﷺ عن ذلك . بينما تجوز الصلاة عليها في المسجد أو المصلى المعد لصلاة العيد ، والصلاة عليها خارج المسجد هو الأفضل والله أعلم .

– ولا يحل ستر الأضرحة ولا الجلوس على القبر أو الاستناد إليه أو المشي عليه لقول رسول الله ﷺ : " **لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه فتخلص إلى جلده خير له من أن يجلس على قبر** " رواه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه .

كما روى أحمد ومسلم والنسائي وأبو داود والترمذي وصححه " **نهى أن تجصص القبور وأن يكتب عليها وأن يبنى عليها وأن تُوطأ** " (أي تُداس) وفي لفظ النسائي : " **أن يبنى على القبر أو يزاد عليه أو يجصص أو يكتب عليه** " وهذا كله منهي

عنه . ومعنى التجصيص : الطلاء بالجص وهو الجير . ومعنى أو يزاد عليه : أي يستحب أن لا يزاد القبر على التراب الذي أُخرج منه .

– وينهى عن الذبح عند القبر تجنبا لما كانت تفعله الجاهلية وبعدا عن المباهاة لما رواه أبو داود عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ " **لا عقر في الإسلام** " .

○ نقل الميت :

اختلف العلماء في نقل الميت من بلد إلى بلد فمنهم من حرم ذلك إلا لغرض شرعي كالشافعية ، ومنهم من كرهه كالأحناف ، ومنهم من أجازه كالمالكية والحنابلة لمصلحة شرعية .

أما الشهيد فيستحب دفنه حيث قتل . قال الإمام أحمد : أما القتلى ، فعلى حديث جابر أن رسول الله ﷺ قال : " **ادفنوا القتلى في مصارعهم** " أخرجه أحمد

والبيهقي بسند صحيح .

– وينهى عن سب الأموات لما رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : " **لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا** " .

– وتحرم الصلاة والاستغفار والترحم على الكفار والمنافقين والآيات في ذلك كثيرة منها قوله تعالى : ﴿ **ولا تصل على أحد منهم مات أبدًا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهو فاسقون** ﴾ [التوبة : ٨٤] .

وقوله تعالى : ﴿ **ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم ۝ وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم** ﴾ [التوبة : ١١٣ – ١١٤] .

لماذا لا يغسل الشهيد (قتيل الكفار في المعركة) ؟ ولا يصلى عليه ؟

– الجهاد لإعلاء كلمة الله ، وتمكين للهداية في الأرض وتركيز للدين الحق ؛ أفضل عند الله من التطوع (للحج والعمرة والصلاة والصيام) .. وهو مع ذلك ينتظم كل لون من ألوان العبادات سواء منها ما كان عبادات الظاهر أو الباطن ؛ فإن فيه من عبادات الباطن الزهد في الدنيا وهجرة الرغبات وفيه من التضحية بالنفس والمال وبيعهما لله ، ما هو ثمرة من ثمرات الحب والإيمان واليقين والتوكل ، وقد عظم الإسلام أمره ونوه به في عامة السور المدنية ، وذم التاركين له والمعرضين عنه ووصفهم بالنفاق ومرض القلب .

قال تعالى ﴿ **إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن**

ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم ﴾ [التوبة : ١١١] .

۞ كما أن الله تعالى جعل الجهاد تأمينا لحياة العباد فلو عقل الناس ذلك لما فرطوا في تلك الفريضة التي تكون فرض كفاية ؛ إذا قام به من يكفي سقط عن سائر الناس وإن لم يقم به من يكفي أثم الناس كلهم ، وذلك إذا لم يداهم العدو بلاد المسلمين **!**

۞ أما إذا نزل الكفار ببلد من بلاد المسلمين عند ذلك يتعين على أهل ذلك البلد قتالهم ودفعهم وإخراجهم فإن لم يستطيعوا ذلك وجب على كل من حولهم من المسلمين إعانتهم والمقاتلة معهم ، فإن لم يستطع هؤلاء ذلك وجب على من بعدهم إعانتهم والمقاتلة معهم حتى يصبح الجهاد فرض عين على جميع المسلمين يقاتلون الكفار حتى يخرجوهم من أي بلد

إسلامي نزلوا فيه وإلا أثموا جميعًا .

وأكتفي بذكر آية واحدة تبين مزية الجهاد وأثره في تأمين حياة العباد وأنه بالجهاد وحده وليس بغيره نأمن على أنفسنا ومساجدنا من العدوان قال تعالى :

﴿ الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز ﴾ [الحج : ٤٠] .

وها هي دماء المسلمين تسفك في كل مكان وتستباح حرماتهم ويذبحون ركعا سجدا في مساجدهم ويقتلون بالمئات ، ولو أنهم بذلوا دماءهم المهدرة في نصرة دينهم لعاشت الأجيال من المسلمين في أمن وأمان ، ولكنهم يتكالبون على الدنيا ويستسلمون

للأعداء ويحسبون أنهم يحسنون صنعا وما هم بالراشدين !

○ إن الأجل محدود لا يقدمه أو يؤخره الجهاد في سبيل الله ، فهذا خالد بن الوليد رضي الله عنه وقد قاد جيوش المسلمين في نيف وخمسين زحفا من المعارك الطاحنة وكان يقف في المقدمة حتى لم يبق في جسده شبر إلا وفيه ضربة بسيف أو طعنة برمح ، ومع ذلك لم يقتل في أرض المعركة بل مات على فراشه بعد عمر حافل بالانتصارات ، وقد شعر بأكبر الأسى على نفسه التي تمنت الاستشهاد في ساحة القتال ؛ فها هو يقول لحظة دنو أجله : " لقد طلبت القتل في مظانه ، فلم يقدر لي أن أموت إلا على فراشي .. ولقيت الزحوف وما في جسدي شبر إلا وفيه ضربة بسيف أو رمية بسهم أو طعنة برمح .. وها أنا أموت على فراشي حتف

أنفي كما يموت البعير فلا نامت أعين الجبناء " !!!!

○ إن شهيد المعركة لا يصلى عليه لأن صلاة الناس شفاعة له عند الله وهو لا يحتاج لتلك الشفاعة لأنه هو الذي يشفع لغيره !! فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه : قال : قال : رسول الله ﷺ : " **إن للشهيد عند الله سبع خصال : أن يغفر له في أول دفعة من دمه ، ويرى مقعده من الجنة ويحلى حلة الإيمان ، ويجار من عذاب القبر ، ويأمن الفزع الأكبر ، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة فيه خير من الدنيا وما فيها ، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ، ويشفع في سبعين إنسانا من أقاربه** " . رواه أحمد بسند حسن والطبراني .

○ وكيف يصلي عليه الناس وهو أفضلهم عند الله ؟!!!

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : **أتى رجل رسول الله ﷺ فقال : أي الناس أفضل ؟** قال : **مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله** " .. متفق عليه .

وهذا نبي الله يقود المسلمين مجاهدا ويتمنى أن يغزو فيُقتل عدة مرات لما يعلمه من أجر الشهادة في سبيل الله : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " **تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا جهاد في سبيلي وإيمان بي وتصديق برسلي فهو ضامن أن أدخله الجنة ، أو أرجعه إلى منزله الذي خرج منه بما نال من أجر أو غنيمة ، والذي نفس محمد بيده ما من كلم** (أي جرح) **يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته يوم كلم لونه لون دم وريحه ريح مسك ، والذي نفس محمد بيده لولا أن**

أشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبدا ، ولكن لا أجد سعة فأحملهم ، ولا يجدون سعة ويشق عليهم أن يتخلفوا عني ، والذي نفس محمد بيده لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل " . رواه مسلم وروى البخاري بعضه .

– وروى البخاري أن رجلا قال : **يارسول الله دلني على عمل يعدل الجهاد ؟ قال : " لا أجده " ثم قال : " هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر وتصوم فلا تفطر ؟ " فقال : ومن يستطيع ذلك ؟!**

– كما روى البخاري أن رسول الله ﷺ قال :

" إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض " إلى

غير ذلك من الأحاديث الشريفة التي تبين فضل الجهاد والاستشهاد في سبيل الله .. ولكن فليعلم أن الجهاد لا يُعتبر جهادا حقيقيا إلا إذا قُصد به وجه الله وأُريد به إعلاء كلمته ، ورفع راية الحق ، ومطاردة الباطل وبذل النفس في مرضاة الله ، فمن قاتل ليحظى بمنصب أو يظفر بمغنم أو يظهر شجاعة أو ينال شهرة أو عرضًا آخر من أعراض الدنيا فإنه لاحظَّ له في الثواب ولا نصيب له في الأجر كما أن المجاهد لا يسمى مجاهدا إلا إذا كان مؤديا لأركان الإسلام من توحيد لله وصلاة وصيام وزكاة (إن كان ممن يملكون النصاب) وحجٌّ للمستطيع . ولا يُعدُّ من قُتل شهيدا إلا بتلك المواصفات .

○ ذكرنا فيما سبق سبب عدم الصلاة على شهيد المعركة أما عن عدم تغسيله : فلأمر رسول الله ﷺ

بذلك ، فقد روى البخاري عن جابر : **أن النبي ﷺ أمر بدفن شهداء أحد في دمائهم ولم يغسلهم ولم يصل عليهم** " . وكذلك رواه أحمد وأبو داود والترمذي عن أنس رضي الله عنه .

○ **أما عن التكفين للشهيد** فإنه يكفن بثوب من فوق ثيابه يلف به جميع جسده بما في ذلك رأسه وقدماه ولا يجوز نزع ثياب الشهيد التي قتل فيها عنه بل يُدفن وهي عليه ومن فوقها ثوب الكفن الإضافي لقوله ﷺ عن شهداء أحد " **زملوهم في ثيابهم** " رواه أحمد وفي رواية " **ادفنوهم بدمائهم وثيابهم** " رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه .



ما ينتفع به الميت بعد موته

○ إن الميت إذا مات خُتِمَ على عمله إلا المرابط ، والرباط هو كل مكان يقيم فيه المجاهد في سبيل الله ليحمي المسلمين ملازمًا للثغور التي يمكن أن تكون منافذًا ينطلق منها العدو إلى دار المسلمين . فأُطلق لفظ الرباط على الإقامة في الثغر بإزاء العدو .

روى الإمام مسلم عن سلمان قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " **رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه ، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله وأُجري عليه رزقه ، وأمن الفتان** " . وقال ﷺ : " **كل ميت يختم على عمله إلا الذي مات مرابطًا في سبيل الله فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة ويأمن فتنة القبر** " رواه أبو داود والترمذي .

وهذا نص صريح في فضل الرباط والكرامة التي

أعدها الله للمرابطين لزيادة ثوابهم . ومعنى يُختم على عمله : أي ينقطع عمله عنه ولا يصل ثوابه إليه . أما المرابط فيُكتب له كل عمله الصالح وكأنه لم يزل حيا يؤديه بنفسه إلى أن يكون منتهاه الجنة . وهذا للمرابط الذي يكون مؤديًا لأركان الإسلام قبل موته ومخلصا لله في نيته ، كما سبق وبينا عند الكلام عن الشهيد .



○ ما ينتفع به الميت من عمل صالح كان سببا فيه قبل موته وأثناء حياته .

من المتفق عليه أن الميت ينتفع بما تسبب فيه من خير في حياته .

والدليل على ذلك قول الله تعالى : ﴿ **ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين** ﴾ [يس : ١٢] .

وما رواه الإمام مسلم وأصحاب السنن أن النبي ﷺ قال : " **إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له** " . وروى ابن ماجه أنه ﷺ قال : " **إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته ، علمًا علمه ونشره ، أو ولدًا صالحًا تركه ، أو مصحفًا ورثه ، أو مسجدًا بناه ، أو بيتًا بناه لابن السبيل ، أو نهرًا أجراه ، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته**

وحياته تلحقه من بعد موته " .

وروى الإمام مسلم عن جرير بن عبد الله : **أن النبي ﷺ قال : من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من يعمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء "** .



ما ينتفع به الميت من أعمال البر الصادرة عن غيره له

۞ **الدعاء والاستغفار له :**

وهـذا مجمع عليه لقول الله تعـالى : ﴿ **والذيـن جـاؤوا مـن بعدهم يقولـون ربنـا اغفـر لنـا ولإخواننـا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنـا غـلاً للذيـن آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم** ﴾ [الحشر : ١٠] .

– وصلاة الجنازة أكـبر شـاهد لذلـك لأن غالبهـا دعاء للميت واستغفار له .

– أما الأحاديث فهي كثيرة جدا منها ما رواه أبو داود عـن أبـي أسـيد رضي الله عنـه قـال : **بينمـا نحــن جلوس عند رسـول الله ﷺ إذ جـاءه رجـل مـن بنــي سلمة فقال : يارسول الله هل بقي من بر أبوي شــيء أبرهمـا بـه بعـد موتهمـا ؟ فقــال : نعــم ، الصـــلاة**

عليهما ، والاستغفار لهما ، وإنفاذ عهدهما من بعدهما ، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما ، وإكرام صديقهما " . ومعنى الصلاة عليهما : الدعاء لهما .

○ الصدقة عنه :

وقد حكى الإمام النووي الإجماع على أنها تقع على الميت ويصله ثوابها سواء كانت من ولد أو غيره لما رواه أحمد ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة أن رجلا قال للنبي ﷺ : **إن أبي مات وترك مالا ولم يوص ، فهل يكفر عنه أن أتصدق عنه ؟ قال : " نعم " . وعن الحسن عن سعد بن عبادة أن أمه ماتت فقال : يارسول الله : إن أمي ماتت ، أفأتصدق عنها ؟ قال : نعم . قلت : فأى الصدقة أفضل ؟ قال : سقى الماء**

قال الحسن : فتلك سقاية آل سعد بالمدينة " رواه أحمد والنسائى وغيرهما . ولايشرع إخراجها عند المقابر ويكره إخراجها مع الجنازة (أى الصدقة) .

○ قضاء الصيام عنه :

لما رواه البخارى ومسلم عن ابن عباس قال : **جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : يارسول الله إن أمى ماتت وعليها صوم شهر أفأقضيه عنها ؟ قال : " لو كان على أمك دين أكنت قاضيه عنها ؟ قال : نعم . قال : " فدين الله أحق أن يقضى ".**

○ الحج عنه :

لما رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : **أتى رجل النبى ﷺ فقال له : إن أختي نذرت أن تحج وإنها ماتت ، فقال النبي ﷺ : " لوكان**

عليها دين أكنت قاضيه ؟ " قال نعم . قال فاقضِ الله ، فهو أحق بالقضاء " .

○ وعلى وجه العموم يقول ابن القيم :

العبادات قسمان : مالية وبدنية وقد نبه الشارع بوصول ثواب الصدقة على وصول سائر العبادات المالية ونبه بوصول ثواب الصوم على وصول سائر العبادات البدنية ، وأخبر بوصول ثواب الحج المركب من المالية والبدنية ، فالأنواع الثلاثة ثابتة بالنص والاعتبار .

وفي المغني لابن قدامة : قال أحمد بن حنبل : الميت يصل إليه كل شيء من الخير للنصوص الواردة فيه .

– ولا بد من **نية الفعل** عن الميت قبل عمله .

○ قضاء الدَّين عن الميت :

ويُقضي الدين من ماله الذي تركه ولو أتى عليه كله ، فإن لم يكن له مال فعلى الدولة أن تؤدي عنه

إن كان جهد في قضائه ، فإن لم تفعل وتطوع البعض بذلك جاز .

ويجب قضاء الدين عن الميت وعدم التهاون في ذلك حتى لو كان شهيدا . لما رواه أحمد ومسلم من حديث أبي قتادة : **أرأيت إن قتلت في سبيل الله تكفر عني خطاياي ؟ فقال رسول الله ﷺ : " نعم وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر ، إلا الدَّين فإن جبريل قال لي ذلك "** .



الإحـداد علـى المـيت

○ الإحداد : هو ترك ما تتزين به المرأة من الحلـي والكحـل والحريـر والطيـب والذهـب والخضـاب ، ولا يجوز أن تحد المرأة على قريبها الميت أكثر من ثلاثة أيـام حتى على أبيها وأمها ما لم يمنعها زوجهـا ، أمـا الـزوج فقط فهو الذي تحد عليه الزوجة إن مـات أربعـة أشـهر وعشرة أيام . وذلك لقوله تعالى : **﴿ والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجًا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا فإذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير ﴾** [سورة البقرة : ٢٣٤] .

ولما رواه الجماعة إلا التـرمذي عـن أم عطيـة أن النبـي ﷺ قال : " **لا تحد امرأة على الميت فوق ثـلاث إلا على زوج فإنها تحد عليـه أربعـة أشـهر وعشـرا . ولا تلبس ثوبا مصبوغا إلا ثوب عصب ، ولا تكتحل ، ولا تمـس طيبـا ، ولا تختضـب ، ولا تمتشـط ، إلا إذا**

طهرت تمس نبذة من قسط أو أظفار " . القسط والأظفار : نوعان من العود الذي يتطيب به ، والنبذة : القطعة . أي يجوز لها وضع الطيب عند الغسل من الحيض لإزالة الرائحة الكريهة (وذلك أثناء فترة الإحداد) . هذا كله إن لم تكن المرأة حاملاً .

- أما إن كانت حاملاً وتوفي عنها زوجها (أو طُلقت طلاقا بائنا) فإن عدتها وضع الحمل بالكتاب والسنة .

أما الكتاب فقوله تعالى : ﴿ **وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن** ﴾ [سورة الطلاق : ٤] .

وأما السنة فما روي عن (سُبيعة الأسلمية) أنها كانت تحت (سعد بن خولة) وهو وهو ممن شهد بدرًا ، فتوفي عنها في حجة الوداع وهى حامل فلم تنشب " أي تلبث " أن وضعت حملها بعد وفاته ، فلما

تعلت من نفاسها (أي طهرت) تجملت للخطّاب ، فدخل عليها أبو السنابل بن بعكك فقال لها : ما لى أراك متجملة ، لعلك ترجين النكاح ؟ والله ما أنت بناكح حتى يمر عليك أربعة أشهر وعشر . قالت سبيعة : فلما قال لي ذلك جمعت عليّ ثيابي حين أمسيت ، فأتيت رسول الله ﷺ فسألته عن ذلك فأفتاني بأني قد حللت حين وضعت حملي وأمرني بالتزوج إن بدا لي" أخرجه البخاري ومسلم والنسائي وأبو داود .

– ومما ينبغي التنبيه عليه أن الكثيرات لا يسرن على هدي الإسلام في الحداد فمنهن من تغالي في الحداد فتحد على أبيها أو ولدها سنوات ، وقد تترك الحداد على الزوج بعد الأربعين وكل ذلك مخالف للشريعة ... فعلى المرأة المسلمة الالتزام بما حددهُ الشرع حتى لا تقع في المحظور .

التعزية

○ تُشرع تعزية أهل الميت . ومعنى التعزية : التصبير بذكر ما يسلي المصاب ويخفف حزنه ويهون عليه مصيبته . وتُؤدي التعزية بأي لفظ يخفف المصيبة ويحمل على الصبر والرضا بالقضاء فإن اقتصر على اللفظ الوارد كان أفضل . والتعزية مستحبة لما رواه ابن ماجه والبيهقي بسند حسن عن عمرو بن حزم عن النبي ﷺ قال : " **ما من مؤمن يعزي أخاه بمصيبته إلا كساه الله عز وجل من حلل الكرامة يوم القيامة** " وهي وهي لا تُستحب إلا مرة واحدة .

وروى البخاري عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال : **أرسلت ابنة النبي ﷺ إليه إن ابنا لي قُبض فأتنا . فأرسل يقرئ السلام ويقول : " إن لله ما أخذ ، وله ما أعطى ، وكل شيء عنده بأجل مسمى فلتصبر ولتحتسب "** .

۞ وينبغي أن تكون التعزية لجميع أهل الميت وأقاربه سواء أكان ذلك قبل الدفن أم بعده إلى ثلاثة أيام إلا إذا كان المعزِّي أو المعزَّى غائبا أو رأى المعزِّى مصلحة شرعية في التعزية بعد الثلاث فإنه لا بأس بالتعزية بعد الثلاث .

۞ والسنة أن يُعزى أهل الميت ثم ينصرف كل في حوائجه دون أن يجلس سواء أكان معزِّيا أم معزَّيا وهذا هو هدي السلف الصالح . أما ما يفعله الناس اليوم من الاجتماع للتعزية وإقامة السرادقات وصرف الأموال الطائلة من أجل المباهاة وصنع أهل الميت الطعام للضيوف والذبح في اليوم الثالث ، وقراءة القرآن مع عدم الإنصات له وشرب الدخان ، والجلوس بصمت في هيئة حزينة للجميع فهذا كله وغيره مما يخالف الكتاب والسنة ويُعدُّ من العادات الجاهلية ومن البدع

والأمور المنكرة التي يحرم فعلها ويجب على المسلمين اجتنابها ... وكذلك ما يفعلونه من أنهم جعلوا يوم الخميس والأربعين وذكرى مرور عام على الوفاة وما إلى ذلك فهو من أفعال الكفار ولا يتفق مع نقل ولا عقل .

۞ ويحرم على أقارب الميت النياحة عليه ولطم الخد وشق الجيب ونتف الشعر وحلقه أو نشره والدعاء بالويل والثبور .

۞ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :" **ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية** " متفق عليه .

۞ وورد في الحديث الذي رواه مسلم والبخاري عن أبي بردة : **إن رسول الله ﷺ بريء من الصالقة والحالقة والشاقة** " .

الصالقة : النائحة النادبة . الحالقة : التي تحلق رأسها عند المصيبة . والشاقة : التي تشق ثوبها .

◌ وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " **النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة عليها سربال من قطران ودرع من جرب** " . رواه مسلم .

◌ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " **اثنتان في الناس هما بهم كفر : الطعن في النسب ، والنياحة على الميت** " .

◌ على أنه يجوز الحزن والبكاء دون نياحة بالكلام .

لقوله ﷺ : " **إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا** ... (وأشار إلى لسانه) **أو يرحم** " متفق عليه .

۞ وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : " **الميت يعذب في قبره بما نيح عليه** " وفي رواية " **ما نيح عليه** " متفق عليه .



زيارة القبور

○ زيارة القبور مستحبة للرجال لأنها تذكرهم بالآخرة وكانت منهي عنها ابتداء لقرب عهدهم بالجاهلية فلما دخلوا في الإسلام وعرفوا أحكامه أذن الشارع لهم بزيارتها .

روى أحمد ومسلم وأصحاب السنن عن عبد الله ابن بريدة عن أبيه أن النبي ﷺ قال : " **كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكركم بالآخرة** " .

○ زيارة النساء للقبور :

يجوز للنساء زيارة القبور بشرط عدم التبرج والتكشف وعدم الإكثار من الزيارة لقوله ﷺ " **لعن الله زوارات القبور** " رواه أحمد وابن ماجه والترمذي وصححه . قال القرطبي : " اللعن المذكور في الحديث إنما هو للمكثرات من الزيارة لما تقتضيه الصيغة من

المبالغة ولعل السبب ما يفضي إليه ذلك من تضييع حق الزوج والتبرج وما ينشأ من الصياح ونحو ذلك وقد يقال : إذا أمن جميع ذلك فلا مانع من الإذن لهن ، لأن تذكر الموت يحتاج إليه الرجال والنساء " . ا. هـ .

۞ ولكن جازت لهن زيارة القبور لحديث عائشة : فعن عبد الله بن أبي مليكة : **أن عائشة أقبلت ذات يوم من المقابر فقلت : يا أم المؤمنين من أين أقبلت ؟ قالت : من قبر أخي عبد الرحمن . فقلت لها : أليس كان نهي رسول الله ﷺ عن زيارة القبور ؟ قالت : نعم كان نهى عن زيارة القبور ، ثم أمر بزيارتها** . رواه الحاكم والبيهقي وقال : تفرد به بسطام ابن مسلم البصري . وقال الذهبي : صحيح .

۞ ما ينبغي عمله عند زيارة القبور :

يدعو الزائر للأموات ويستغفر لهم ولكنه لا

يستقبل القبور عند الدعاء وإنما يستقبل القبلة .

○ ومن الصيغ الواردة عن النبي ﷺ :

" السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله (بكم) للاحقون ، (أنتم لنا فرط ، ونحن لكم تبع) أسأل الله لنا ولكم العافية " .

○ ولا يجوز الصلاة في المقابر (إن أدركت الزائر الصلاة) لورود النهي عن ذلك .

○ كما يحرم اتخاذ القبور عيدا تُقصد في أوقات ومواسم معينة حتى لو كان قبر رسول الله ﷺ ، فما بالنا بزيارة الأضرحة والقباب والتمسح بها والطواف حولها والاستغاثة بأهلها مما يعتبر شركا بالله تعالى ؟! روى أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن

رسول الله ﷺ قال : **لا تجعلوا بيوتكم قبورا ولا تجعلوا قبري عيدا وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم " .**

✿ وينبغي عدم المشي بين القبور بالنعال إلا لضرورة وعذر كوجود الشوك ونحوه لحديث بشير بن الخصاصية " **أن رسول الله ﷺ رأى رجلا يمشي في نعلين بين القبور فقال يا صاحب السِّبْتِيَّتيْن ألقهما "** رواه الخمسة إلا الترمذي .

والسَبْتِيَّتيْن [١] : نوع من أنواع النعال .

(١) والسِّبت (بالكسر) جلود البقر المدبوغة يتخذ منها النعال ، سميت بذلك لأن شعرها قد سُبِتَ عنها : أي حُلق وأزيل وقيل : انسبت بالدباغ ؛ أى لانت .

○ ما يجب على المسلم فعله عند زيارة قبر الرسول ﷺ بالمدينة المنورة :

١- إذا فرغ المسلم من تحية المسجد (وهي صلاة ركعتين لله) اتجه إلى القبر الشريف متجنبا التمسح بالحجرة - أي القبر - والتقبيل لها فإن ذلك مما نهى عنه الشرع ولا يرفع صوته إلا بقدر ما يسمع نفسه .

٢- ويسلم على رسول الله ﷺ مستقبلا للقبر الشريف بقوله : السلام عليك يا رسول الله . السلام عليك يا نبي الله . السلام عليك ياخيرة خلق الله من خلقه . السلام عليك ياحبيب الله . السلام عليك يا سيد المرسلين . السلام عليك يارسول رب العالمين . السلام عليك يا قائد الغر المحجلين . أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك عبده ورسوله وأمينه وخيرته من خلقه وأشهد أنك قد بلغت الرسالة وأديت الأمانة ،

ونصحت الأمة وجاهدت في الله حق جهاده " .

٣- ثم يتأخر نحو ذراع إلى الجهة اليمنى فيسلم على أبي بكر الصديق . ثم يتأخر أيضا نحو ذراع فيسلم على عمر الفاروق رضي الله عنهما .

٤- ثم يستقبل القبلة فيدعو لنفسه ولأحبابه وإخوانه وسائر المسلمين .

وفي الختام أسأل الله تعالى حُسن الخاتمة والرحمة والمغفرة والفوز بالجنة والنجاة من النار ، وأن يجعل هذا العمل وسائر أعمالي خالصًا لوجهه الكريم وأن يتقبله مني ينفع به المسلمين ، مع الرجاء الدعاء لي بدعوة خير في ظهر الغيب .

وآخر دعوانا أن الحمد لله
رب العالمين ،،،



المراجع

١- القرآن الكريم .
٢- تفسير القرطبي .
٣- شرح العقيدة الطحاوية .
٤- سبل السلام - للصنعاني .
٥- نيل الأوطار - للشوكاني .
٦- زاد المعاد في هدى خير العباد - لابن قيم الجوزية .
٧- فقه السنة - سيد سابق .
٨،٩- أحكام الجنائز وبدعها - وتلخيصه - للألباني .
١٠- فتح البارى - لابن حجر العسقلاني .
١١- الزواجر عن اقتراف الكبائر - لابن حجر الهيتمي .
١٢- رياض الصالحين - للإمام النووي .
١٣- اليوم الآخر في ظلال القرآن - لأحمد فائز .
١٤- روضة المحبين ونزهة المشتاقين - لابن قيم الجوزية .

١٥- عذاب النار - لمحمد متولي الشعراوي .
١٦- حوار مع الشيخ الشعراوي - لأحمد زين .
١٧- عبقرية خالد - لعباس العقاد .
١٨- العائدون إلى الله - لمحمد عبد العزيز المسند .
١٩- خلق المسلم - لمحمد الغزالي .
٢٠- تسلية أهل المصائب - لمحمد المنبجي الحنبلي .



الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة
لحظتان هامتان في حياة الإنسان	٣
الموت لحظة اللا عودة	٧
متى يفسد المجتمع	١٠
القبر أول منازل الآخرة	١٢
كيف نؤمن بعذاب القبر ونعيمه وكأننا نراه؟	١٨
صور مما يحدث عند الموت وفي القبر	٢٤
عن حسن الخاتمة	٣٧
علامات حسن الخاتمة	٤٣
قصص واقعية متعلقة بعلامة الموت على عمل صالح	٤٥
من فضل الصبر	٦٠
أحكام الموت	٨٠
الوصية	٨٠
تلقين المحتضر الشهادة	٨١

ما يجب على الحاضرين بعد موته ٨٢
غسل الميت ٨٥
تكفين الميت ٨٩
الصلاة على الميت ٩٣
حكم السقط ٩٩
الدفن وتوابعه ١٠١
نقل الميت ١٠٧
لماذا لا يغسل الشهيد ولا يصلى عليه ؟ ١٠٩
ما ينتفع به الميت بعد موته ١١٨
الإحداد على الميت ١٢٧
التعزية ١٣٠
زيارة القبور ١٣٥
المراجع ١٤١
الفهرس ١٤٣

